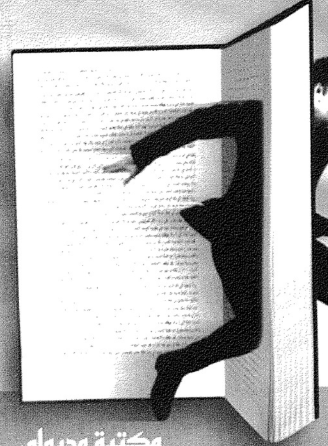
سياسة

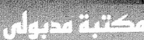


إبراهيم عيسى

مجرد إختلاف فى وجهات النظر

مناقشات
مع صديقى
محمد عبد القدوس





مجرد اختلاف فى وجهات النظر

إبراهيم عيسى

الكتاب :
مجرد اختلاف فى وجهات النظر
المؤلف :
إبراهيم عيسى
الناشر :
مكتبة مدبولى
٩ ش الجزائر المهندسين
تليفون : ٣٤٥٥٢٤٥
٣٤٦٩٨٢٢
الغلاف للفنان :
عمرو عطوة
جرافيك :
صابر على صابر
مونتاج إليكترونى :
عفت إبراهيم
مراجعة لغوية:
أحمد رجب

مجرد اختلاف فى وجهات النظر

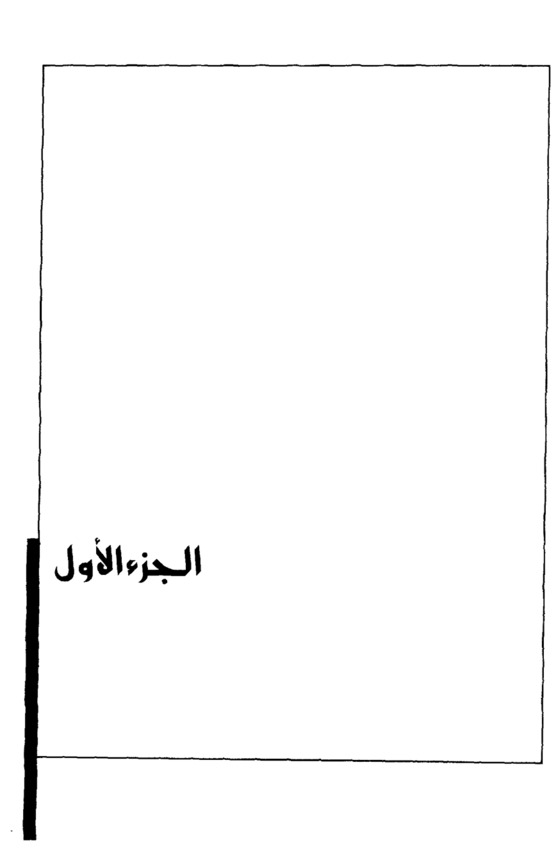
إبراهيم عيسى

الناشر
مكتبة مدبولى
٩ ش الجزائر - المهندسين

الإهداء..

إلى شادى.. أخى

إبراهيم



الجزء الأول

فى قضية
«نصر أبو زيد»
جريمة للجميع

الصديق العزيز إبراهيم عيسى..

اسمح لى بأن نتحدث سويا بصوت مسموع وبطريقة حضارية فى حوار لم يسبقنا إليه أحد من قبل عن قضية الدكتور نصر "أبو زيد" وهذا الموضوع أراه فى غاية الأهمية لأنه يضع أيدينا على ثلاثة أسباب للإرهاب المسلح الذى ابتليت به بلادنا، وقبل أن أدخل فى صميم ما أعنيه أقول لك إنه لا يوجد فائز أو مهزوم فى هذه القضية بل أصاب الجميع الخسران المبين.. التيار الإسلامى، والعلمانى، والحكومة .

أولا : بدعة تكفير الغير :

هذا هو الداء الأول، فالقضاء لم يحكم بالتفرقة بين الدكتور نصر أبوزيد وزوجته إلا أنه كافر ومرتد !! وبالتالى فزوجته المسلمة لا تحل له !!بل عليه أن يتزوجها من جديد بعد أن يتوب إلى الله !! والحقيقة أننى لم أتحمس أبدا لهذه القضية وذلك لأسباب ثلاثة:

١- بدعة التفرقة بين الدكتور وزوجته جديدة على بلادنا بل وعلى البلاد الإسلامية الأخرى، وعلى قدر علمى لم أسمع أن هذا قد وقع من قبل فى أية دولة أخرى فى العصر الحديث على الأقل، ولا يعقل أن تكون مصر هى مصدر هذه البدعة..

٢- الدكتور نصر أبو زيد أستاذ جامعى متخصص لم يعرفه الرأى العام قبل هذه القضية، وليس معروفا عنه أنه عدو الإسلام أو أنه مشهور بكراهيته للمتدينين أو

استهزائه برسالة سيدنا محمد عليه السلام، فهو ليس سليط اللسان ضد ديننا، بل جريمته أنه قام بأبحاث عن القرآن ووصل إلى نتائج خاطئة من وجهة نظر العلماء لكنه لم يكن يستحق كل هذا العقاب.

٣- فى أكثر من حديث رأينا الدكتور أبوزيد يقول إنه يحترم الإسلام، بل إنه فى هولندا حيث يقيم رفض أن يتطاول الأجانب والمستشرقون على ديننا ضمن حملة التعاطف معه !! بل كان يؤكد أن الإسلام برىء مما حدث وهو خطأ بعض أتباعه، و"أتساءل : بأى عقل يمكن اتهامه بالكفر وهو يدافع عن الإسلام فى بلاد الغربة؟ والمعروف أن الكافر هو الذى ينكر الرسالة السماوية بقلبه وعقله وأقواله، وهو ما لا ينطبق على هذ الأستاذ الجامعى، فضلا عن أنه ليس من حقى ولا من حقك أن أحكم على الغير بالكفر بل إنها مسئولية رب العالمين.

ثانيا : الحوار مقطوع :

وهو السبب الثانى للإرهاب، وقد وضح فى هذه القضية تماما، لم يتمكن أحد من إجراء حوار موضوعى بين رموز التيار الإسلامى والعلمانى حول كتابات الدكتور نصر أبو زيد. واكتفى كل طرف بتبادل الشتائم والاتهامات وهذا دليل مؤكد على التخلف الذى تعيش فيه بلادى !!

وقد حزنت جدا على أوضاع مصر والحالة التى وصلنا إليها ندما رأيت دولة قطر - وحى شبرا بالقاهرة أكبر منها - تنجح فيما فشلت فيه مصر بكل ثقلها ومكانتها، فقد دعت الدكتور نصر أبو زيد من هولندا والدكتور محمد عمارة من القاهرة واستضافت الجميع فى حوار رائع أذيع على الهواء مباشرة.. ألم يكن أجدر بالتليفزيون المصرى أن يتولى هو

دعوة الطرفين أبناء مصر إلى هذه المواجهة بدلا من أن يتولى ذلك مشكورا تليفزيون قطر ؟؟ لكن أنت تعلم وأنا أعلم أن النظام الحاكم فى مصر الذى يعبر عنه التليفزيون غير مؤهل للقيام بهذا الدور، ويكفى أن أخبرك أن الدكتور محمد عمارة مع غيره من كوكبة من المفكرين الإسلاميين ممنوعون من الظهور على الشاشة الصغيرة أو التحدث فى الإذاعة، فسياسة الدولة لا تقوم على الحوار بل على المنع !!

ملحوظة مهمة : الدكتور محمد عمارة وغيره من المفكرين الإسلاميين مثل فهمى هويدى أعلنوا رفضهم لبدعة التفرقة بين الدكتور نصر أبوزيد وزجته وأكدوا أن الفكر يواجه بالفكر.

ثالثا : مفكرون بألف وجه :

دافع عن الدكتور نصر أبو زيد بحماس نخبة من المفكرين المعروفين، شكرا لكم ولكن أين أصواتكم وأقلامكم فى قضايا الحريات الأخرى؟ - والحرية كما تعلمون لا تتجزأ - لقد تعرض العديد من المثقفين الإسلاميين لأشد وأنكى مما تعرض له الدكتور نصر أبو زيد فقيدت حرياتهم، وفى السجن حاليا ٥٤ شخصا من خيرة أبناء مصر هم قادة النقابات المهنية وأساتذة فى الجامعات أعضاء مجلس الشعب السابقين كانوا ضحايا الحملة الظالمة التى شنتها الدولة على جماعة «الإخوان المسلمون».. وكل الموجودين فى السجون من أعضاء هذه الجماعة لا صلة لهم بالعنف نهائيا.. فماذا فعلتم من أجلهم؟ ووراء الشمس أيضا بضعة آلاف من المعتقلين، أى ليسوا على ذمة قضايا محددة، ومع ذلك لم نسمع لكم صوتا إلا التأييد والتهليل للحكم القائم فى حملته ضد التيار الإسلامى كله !! وماذا عن قضايا الحريات الأخرى: التعذيب، قانون الطوارئ.. إلغاء نظام انتخاب عمداء الكليات، تزوير الانتخابات.. تعيين عمد القرى بواسطة الداخلية.. إلخ؟ إن المثقفين فى

كل دولة هم خط الدفاع الأول عن الحريات العامة. ومن الواضح أنهم قد تخاذلوا فى العديد من القضايا مما كان له أثره السيىء على تردى الأوضاع ببلادنا حتى وإن زعم البعض أننا نعيش فى ظل حرية لم يسبق لها مثيل !!!

وما دخل الإرهابيين بنصر أبو زيد؟

صديقى الغالى محمد عبد القدوس..

لم أفهم عبارتك التى تقول فيها " القضاء لم يحكم بالتفرقة بين د. نصر أبو زيد وزوجته إلا أنه كافر ومرتد " وربما قصدت لفظ إلا لأنه وليس أنه، ربما فأنا أخشى أن أبنى رأيى على أخطاء مطبعية :

لكننى فى الحقيقة منزعج من ان يكون ذلك اعترافا أو تسليما بأن دكتور نصر كافر (!!)، وخاصة أن سياق الرسالة يعنى تماما أنك ضد بدعة التكفير على الرغم من أنها لم تعد بدعة بل صارت ظاهرة وموضة ورغم كل الاستنكارات التى يبديها تيار الإخوان ألا وهم كمن أيديهم فى الماء ونحن أيدينا فى النار، أنتم تستنكرون التكفير وتذهبون إلى النوم، ونحن نعانى منه ونذهب إلى النوم والفارق بين النوعين واضح.

وتبدو حركة الإخوان فى حرصها التاريخى على تبرئة نفسها من العنف الذى تحول إلى إرهاب تبدو مثل الطلبة الشاطرين فى فصل " بُلَدًا " يستنكرون دائما أفعال زملائهم فى الفصل من هجوم على المدرس أو نط من الشباك بينما «الإخوان الشاطرين»، لا يتلقون عقابا.. الكل يحدثنا عن أن الإخوان شىء والجماعات الإرهابية شىء آخر، والبعض يقترح أن نتحاور مع الإخوان أو بمعنى أدق يفصح عن غرضه مباشرة، أن تتحاور الدولة مع الإخوان حتى ينتهى الإرهاب.

طيب صحيح ومن يضمن لنا أن الجماعات المنشقة عن سماحة الإخوان سوف تعود إلى كهف الإخوان، من يضمن، ومن يضمن أنها لن تكون عن الإرهاب وإذا كان الإخوان قد فشلوا وهم بعيدون عن السلطة فى إقناع هؤلاء بأفكار الإخوان " السمحة " فمن الجائز جدا أن يتحول الأمر إلى كارثة أهلية.

وقبل أن أخوض فى موضوع د. نصر أبو زيد لنتحدث عن ذلك الحوار المقطوع وأسأل: من المسئول عن الفظاعة .. أقولك يا عمنا من هم؟ ومن هو؟ إنهم التيار الإرهابى الذى قتل فرج فودة، وبينما هو - رحمه الله - يلفظ أنفاسه الأخيرة فى المستشفى فى تلك الليلة انقطع الحوار.

أقول لك من المسئول؟ الشاب الذى مشى فى شارع النيل أمام منزل الكاتب العملاق نجيب محفوظ وتربص به وترصده وحاول قتله ونجا الرجل بمعجزة إلهية.

هل المطلوب منا الآن أن نوصل ما انقطع من حوار، موافق وها أنا أفعله الآن يا محمد يا عبد القدوس يا صديقى ولا ضمان لى، بينما هناك ضمان لك أن أحدا من فصلى " سواء شاطرين أو بُلَدًا " لن يصيبك بأذى!

المسئول عن انقطاع الحوار هو افتقاد الضمانات من أول التهديد بالاغتيال إلى التهديد بالتفريق.

ومن هنا إلى قضية د. نصر أبو زيد التى أخذت أبعادا مهمة وخطيرة وأود فقط أن أبرئ منها التيار الدينى المتشدد أو الجماعات الإرهابية، فهى لم تتكلم ولا كلمة فى هذا الموضوع، لم تقدم على أى فعل - حتى الآن على الأقل - عملى أو نظرى، أما هذا الموضوع الفضيحة برمته فقد تحمل التيار الدينى الذى يدعى استنكاره للإرهاب وتحمل وزره وجريمته هكذا بكل الصدق يا صديقى.

فلم يكن فهمى هويدى محسوبا على الإرهابيين حين فجر هذه القضية ولم يكن يوسف البدرى ولا صميدة ولا عبد الصبور شاهين من المحسوبين على الإرهابيين .

فما دخل الإرهابيين بهذا الموضوع من أصله إلى فصله؟

ثم إذا بك تتهم المفكرين أصحاب الألف وجه، وأنا معك، بل أكثر حدة وعنفا مع أولئك الملونين فكريا حتى أننى أتهمهم بخلل فى الضمير، لكن أحب أن أشير لك إلى قلق حقيقى يملأ نفسى، فأنا أخشى وأخاف من أن تكون الدعوة للتضامن فى قضايا الحريات حالة مقايضة، يعنى دافع عنى كى أدافع عنك، هكذا مباشرة ودون لف ولا دوران، فى الحقيقة يا عزيزى إننى أدرك تماما أنك لا تقصد إطلاقا فكرة المقايضة، لكننى أقصدها لدى غيرك بل وممن هم محسوبون على تيار التنوير وليس فقط إخوانا مسلمين أو إخوانا إرهابيين.. إن التلون شىء مقيت ولكنه منتشر هذه الأيام بقوة ليس عند فريق دون آخر ولكنه على الجانبين، والسم يتم دسه فى العسل سواء عسلاً فقهياً.. أو عسلاً سياسياً.

إن عبد الله بن أبى بن سلول ليس قاصرا على التنويريين الذين لا يدينون المحاكم العسكرية، بل ينطبق أيضا على الذين يخلعون أيديهم من قضايا التكفير بينما هم غاطسون حتى أنوفهم فى الترويج لاتهامات الطعن فى الإسلام والإيحاء بالكفر، وهذا يأخذ بأيدينا مرة أخرى إلى الحوار المقطوع، هل نريد له أن يتواصل كى نتفق أم كى نختلف بحرية دون هواجس التفكير أو الإرهاب.

■ ■ ■

أصلح نفسك..
وادع غيرك

عزيزى إبراهيم..

لا يخفى عليك الدرك الأسفل الذى وصل اليه المسلمون وبلاد الإسلام.. حالنا يصعب حتى على الكافر!! لكننى لا أنوى إقامة مأتم نندب فيه تخلفنا بل أتطلع إلى المستقبل.. ترى من أين يبدأ العلاج؟ البعض قد يظن أنه يبدأ من فوق، يعنى من تغيير أنظمة الحكم على أساس قول عثمان بن عفان المأثور : «إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن».. وللأسف سالت دماء غزيرة من أجل التغيير الفوقى دون جدوى.. وهناك مقولة مأثورة أخرى مقتنع بها شخصياً إلى حد بعيد وهى «كما تكونوا يولى عليكم» و هى تعبر عن واقعنا الحالى تماماً بعكس مقولة عثمان حيث شاهدنا فى كثير من الأحيان السلطان وهو يطيح بكل أحكام القرآن.. إذن التغيير يجب أن يشمل المجتمع ذاته، وإليه يجب أن يتجه العلاج بالدرجة الأولى دون إغفال المطالبة بإصلاح مؤسسات الدولة.

و من المؤكد أن الفرد أساس كل نهضة، والأمم تنهض بأبنائها فإذا كان الشعب سلبياً خاملاً متكاسلاً وتنقصه العديد من المقومات الإيجابية فقل «على الدنيا السلام».

أول شرط مطلوب إذن بناء الفرد الإيجابى القادر على المساهمة فى صنع مستقبل أفضل لوطنه.. و لا أتصور نجاح أى إصلاح أخلاقى دون أن يكون الدين ركيزته الأساسية.. لماذا؟ لأنه البوصلة التى تدلك على أنك تسير فى الاتجاه الصحيح.

وتفاصيل ذلك تعود إلى أن نقطة البدء فى أى إصلاح تبدأ من أن يصلح الفرد نفسه أولاً.. فتش عن عيوبك بالدرجة الأولى وبعد ذلك من حقك أن تدعو الناس إلى ما تؤمن

به.. أصلح نفسك و ادعو غيرك.. مقولة خالدة قالها الإمام الشهيد «حسن البنا» ـ رحمه الله ـ منذ عشرات السنين.. ما معنى أن تصلح نفسك؟ الإجابة أن تكون تصرفاتك المختلفة فى حياتك اليوم مطابقة أو على الأقل مقاربة لما يدعو إليه الإسلام، فالدين المعاملة، وصدق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عندما قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» الأخلاق الإسلامية إذن هى الدواء، وإذا كنت مسيحياً فأرجوك أن تتمسك بكل ما يدعو إليه السيد المسيح، المشكلة ليست أن تكون مسلماً أو مسيحياً وإنما فى كونك غير متدين وأخلاقك وتصرفاتك بعيدة عن تعاليم السماء، أو تكون تطبيقاً منفراً لها..

التدين إذن مهم جداً فى بناء الأمم، ومشكلة المسلمين يا أخى العزيز أن أخلاقهم وأوضاعهم فى واد وتعاليم دينهم فى مكان آخر تماماً.. مهمة الدعاة إلى الله إذن تتلخص أولاً فى صناعة المسلم المتدين فى حياته الشخصية.. وعبادته وأخلاقه. وبيته وعمله فهو ناجح ومتفوق، دقيق فى مواعيده ويحترم غيره، ومعاملاته مع الناس تدل على أنه مسلم صحيح الإسلام.. إحدى مشاكلنا الكبرى أننا فصمنا الدين عن الحياة وظننا أنه مجرد عبادات.. عندما يكون الإسلام هو الأساس فى حياتى وحياتك، فسيقوم بعد ذلك فى المجتمع كله، ونكون قد وضعنا بلادنا على الطريق الصحيح لنهضة حقيقية.. أصلح نفسك وادع غيرك بالقدوة وليس بالمواعظ، وصدق من قال «حال رجل فى ألف رجل خير من حديث ألف رجل لرجل واحد» و يعنى هذا الكلام أن مؤمناً صحيح التدين قدوة فى أخلاقه قادر على التأثير فى ألف رجل، أما الوعظ وحده فلا يكفى ولو صدر من ألف شخص ما دام كلاماً فى كلام ولم تتم ترجمته إلى «أخلاق حلوة» فى واقع الحياة يقول الناس عن صاحبها هذ الرجل متدين بالفعل.

وبعد ذلك ما رأيك فى كلامى؟ هل تتفق معى؟ أم لك وجهة نظر أخرى؟ مع خالص تمنياتى لك سواء اتفقنا أو اختلفنا.

ليس كما نكون يولى علينا

عزيزى وأخى محمد عبد القدوس..

سعدت بكلماتك سعادة غامرة يحسن أن ألفها صدرى الآن كى أترك العقل لا العاطفة يدير دفة حوارنا فى أول إبحار له..

تتحدث عن التغيير وتراه من أسفل، من المجتمع وليس من السلطة من فوق، ودعنى أقل لك إننى لا أعرف فعلاً ولا أملك كما تملك أنت الآن يقيناً كاملاً فى مقالك فلا أظن أنها هى القوانين (السياسية أو الدينية أو الأخلاقية) التى ترسم خطوات صارمة واضحة للوصول إلى التغيير ، الأمر لا يشبه التطور المادى للتاريخ ففى التاريخ والمجتمعات أظن أنه ليس شرطاً نهائياً أن يأتى رقم ٢ بعد ١، هذا فى الرياضيات و معامل الكيمياء، أما فى المجتمعات فلا شىء من هذه القوانين وتذكر المقولة المأثورة «كما تكونوا يولى عليكم» فهذه قاعدة أخرى تعنى أن الشعب المصرى منذ آلاف السنين (والذى حكمه فراعنة وأجانب عن البلد ومتمصرين ومماليك وهلم جرا) شعب يستأهل حكامه الذين أفسدوا وأضاعوا وظلموا وطلعوا روح اللى خلفوا هذا الشعب.. هل تعنى هذه المقولة مثلاً أن المصريين يستأهلون حكم المماليك العبيد الأرقاء؟ جايز عندك حق لكننى لا أجازف بالموافقة سريعاً.. ربما خطابك هذا يفتح نفقاً داخلياً لمناقشة مثل هذه الأفكار.

تحدثت يا محمد عن مكارم الأخلاق و هى قضية من اللائق بالوطن كله أن يتحدث عنها، ومقولة الإمام حسن البنا «أصلح نفسك وادع غيرك» مقولة ذات وهج وأريج، ليت

من يقتدى بالبناء أن يلتزم بهذا البناء فى أفكاره، لكننى والحال يتطلب الصراحة - أخشى أن أقول إن بعضاً من المنتمين للتيار الإسلامى وعشرات الآلاف من المتعاطفين معهم لا يلتزمون منطق الإصلاح بهذه الطريقة بغض النظر عن أى مقولات نظرية، فإن منهجهم يطرح الآتى عملياً:

١ـ الجوهر والمظهر:

يشتد اهتمام المنتمين للتيار الإسلامى السياسى بالشكليات حتى يؤدى بالأمر كله إلى مجرد أشكال وطقوس وتفاصيل بالغة الهشاشة فتجد حرباً من أجل اللحية والشارب وطول الجلباب ولبس البذلة وطريقة وضع اليد أثناء الصلاة وعشرات من الأشياء الصغيرة تستنزف أفكار هؤلاء فتسيد المظهر وتوارى الجوهر، وبينما يغرقون أنفسهم فى كلام صغير هش شكلى لا يقدم ولا يؤخر (لأ.. سيؤخر طبعاً) فقد انتهوا للأحكام الدينية الصارمة التى لا تقبل الاختلاف من وجهة نظرهم، يطبقونها علينا جميعاً، فإذا ارتدت المرأة ثوباً غير الثوب الذى فرض شكله الحالى اندفاعات الجرى وراء المظهر، و إذا لم ترتده فياويلها وسواد ليلها، من أول الاتهام بأنها متبرجة، إلى أنها زانية، وقد حبانا الله بعقول فاشية عنيفة أخذت على عاتقها إلقاء قرارات الحلال والحرام على الناس.. وهذا يقودنا إلى النقطة الثانية.

٢ـ الأحكام دينية أم أخلاقية؟

زمان كانت الناس تسأل: صح وللا غلط، عيب وللا مش عيب؟ الآن أصبح الأمر كله حلالاً أم حراماً حتى فيما هو لا يمكن أن يكون موضع جدل حلاله وحرامه.

صرعة اسمها الحلال والحرام، وإذا أردت أن أسرد لك عشرات الأمثلة فأنا على استعداد والحوار طويل جميل بإذن الله.

الأخلاق قضية سماوية ولا شك اهتم بها الأنبياء والرسل لكن هناك أيضاً منطقاً بشرياً ومرونة منحها الله لنا: باعتبار أننا نسعى وأكدها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأننا أدرى بشئون دنيانا، هنا يا عزيزى اختلطت القضية فى أيدى من يعمل بها. فلم يعد هناك أى هامش لدنيانا نعرف نتكلم فيه ونحل ونربط بل إن التيار الإسلامى السياسى شغال ليل نهار فى إلقاء الأحكام الدينية التى حفظها واستنتجها وادعاها ونحن نعرف أنه على مدى التاريخ كان هناك عشرات من الذين يملكون بيوتاً من زجاج يقذفون الناس بالطوب (..) و من ثم فمن مكارم الأخلاق الحقيقية أن نهتم بالجوهر ولا نتلكك على المظهر.

لقد دخلت عشرات المصالح الحكومية مثل أى مواطن و شاهدت الموظفات كلهن تقريباً محجبات والموظفين جرى على صلاة الظهر (الله يقوى إيمانهم) ووجدت بيروقراطية وروتيناً ومعاملة زى النيلة لأى مواطن من هؤلاء الموظفين والموظفات، وهنا اسمح لى فلن أراهم شخصيات ذات دين وخلق حتى ولو تساقطت قطرات الوضوء من أصابعهم، فهذا ليس الدين ولا الأخلاق.

عزيزى وأخى: بيننا محبة لن تنقطع و تواصل لن ينتهى بإذن الله تعالى ما نفعله اليوم يدير مقبض بوابة التاريخ قليلاً لندخل أو لنخرج.

■■■

تعالوا نتفق على التصدى للإرهاب

عزيزى وصديقى إبراهيم عيسى..

فى خطواتنا الأولى للحوار أحاول تلمس نقاط الاتفاق قبل الخلاف.. فليس معنى انتمائى للإخوان، و دفاعك أنت عن فكر آخر أن يكون كل منا فى واد فلا نجتمع أبداً. هذا غير صحيح، هناك بلا شك ما يجمعنا وهو يشكل الحد الأدنى اللازم لحوار ناجح.. فمثلاً رفض الإرهاب من أى طرف كان، أراه محل اتفاق بيننا، على الأقل من ناحية المبدأ فالعنف أراه ينقسم إلى قسمين.. هناك أولاً إرهاب الجماعة المنتمية للدين. وفى مواجهته إرهاب الشرطة، وأنا أرفض هذا وذلك وقد تتعجب وتتساءل: كيف يستوى عندك الشرعية وتمثلها الشرطة التى تدافع عن المجتمع مع الخارجين على القانون؟ والإجابة أننى بالتأكيد فى صف جهاز أمن قوى يكون له اليد الطولى فى معركته مع الإرهاب المسلح يضربهم باسم سيادة القانون والشرعية، أما أن تكون الغاية تبرر الوسيلة وتتم الإطاحة بكل القوانين باسم محاربة الإرهاب فهذا خروج على الشرعية لا بد من التصدى له بذات القوة التى أحارب بها جماعات العنف المسلح..

وما أكثر الممارسات الدالة على خروج الدولة السافر على كل المبادئ والقيم التى تحكم بلادنا.. سياسة الضرب فى المليان أو الضرب فى «سويداء القلب» كلام مرفوض تماماً.

.. نعم من حق رجل الشرطة الدفاع عن نفسه بل وأن تكون له زمام المبادأة، أما أن يقتل المطلوب دون داع فهذه جريمة، والتعذيب أصبح ظاهرة عامة وليست أمراً استثنائياً

تؤكدها منظمات حقوق الإنسان، وفى سجون بلادى عدة آلاف من المعتقلين دون قضية أو اتهامات محددة، وهذا يشكل خرقاً فاضحاً لسيادة القانون، ودعك من الحديث عن المعتقلات فالحديث فيها ذو شجون يطول ويطول وما يحدث هناك لا يشرف مصر أبداً، ومن أبرز مظاهر الإرهاب البوليسى كذلك القبض على العديد من المثقفين الإسلاميين الذين برزوا فى النقابات وتقديمهم إلى المحاكمات العسكرية مع أنهم أبعد ما يكونون عن العنف المسلح.

عزيزى إبراهيم عيسى: تعال نتفق سوياً على التصدى لكل أنواع الإرهاب.. عنف الجماعات الإرهابية فهو مرفوض بكل المقاييس.. أراها قد أساءت إلى التيار الإسلامى كله أبلغ إساءة وقد تصديت شخصياً لهذا الإرهاب قدر طاقتى المتواضعة، فقمت باعتبارى مقرراً للجنة الحريات بنقابة الصحفيين بزيارة جرحى الشرطة فى المستشفيات، وأقمت حفل إفطار فى نقابتنا الغراء لأسر شهداء الشرطة، وكان ذلك فى رمضان منذ سنوات ثلاث عندما كانت معركة الإرهاب محتدمة، وفى ذات الوقت تصديت لإرهاب الشرطة وقد شرحت لك ما أعنيه فى هذا الموضوع منذ بداية حديثى.

وفى هذا الصدد هناك أمور تثير الغيظ ترى من يهاجم بقوة انتهاكات الأمن لسيادة القانون ثم يلوذ بالصمت عندما يرتكب الإرهابيون جريمة، أو تكون إدانته أهم من طرف لسانه.. يعنى أى كلام، وهناك على العكس.. وللأسف.. العديد من المثقفين والمفكرين والكتاب لا يتوانون عن فضح ممارسات الجماعات الإرهابية، ويصمتون صمت القبور عن انتهاكات الشرطة لحقوق الإنسان على أساس أن الصمت فى هذه الحالة من ذهب والطناش من فضة.

واللجنة القومية للدفاع عن سجناء الرأى التى أتشرف بأن أكون مقرراً لها تقوم على هذه الفكرة.. إدانة الإرهاب أيا كان مصدره، فنحن لا ندافع عمن يحمل سلاحاً فى وجه

أبناء مصر، وفى ذات الوقت نتصدى لانتهاكات الشرطة لحقوق الإنسان وقد تشرفت اللجنة مؤخراً بانضمام أسرة الدستور إليها.. الممثلة فى شخصك الكريم، وصديقى «جمال فهمى» مدير التحرير، وهذا بلا شك مكسب كبير لنا.

وأخيراً فإن الغالبية الساحقة من التيار الإسلامى ترفض العنف، وفى مقدمة هؤلاء جماعة «الإخوان المسلمون» ومن حقك أن تقول لى: «هات الدليل» وإلى اللقاء فى الأسبوع القادم إن شاء الله لأتحدث معك فى ذلك ولترتفع حرارة الحوار الموضوعى الحضارى بيننا خدمة لمصر، وفى انتظار رأيك فى مكافحة الإرهاب سوياً بالمعنى الذى شرحته.. مع خالص الشكر.

لعلعة الرصاص فى المدينة

عزيزى وصديقى محمد:

لا أنوى أن أعقد هنا مقارنة بين إرهاب السلطة وإرهاب الجماعات فكلاهما مدان ومديون.

مدان من المواطنين ومديون للوطن. لكننى - ودعنى أفكر معك بصوت مسموع - أظن أن ارهاب السلطة يمكن أن ينتهى بانتهاء السلطة أو رحيل مسئول أمنى أو خطة وزارة أو بضع محاكمات تأديبية سريعة للمتورطين.

لكن ماذا عن إرهاب العقيدة الذى لا يزول ولا ينمحى؟ فالحاصل أن كل ضربات الأمن الموجعة لم تصب عقيدة العنف لدى الجماعات المتطرفة.

لم يمسها الرصاص بسوء.. مس المتطرفين لكنه لم يمس التطرف. فلا يزال لدى الجماعات قوة عقيدة جبارة ومتمكنة لمحو وسحق كل المخالفين لهم.

أصدقك القول يا عمنا، أننى لا أرى أن الشباب المنتمى للجماعات الإسلامية انتمى - كما تقول بيانات كثيرة - طمعاً فى نقود ونفوذ ونساء ربما يكون البعض - البعض القليل منهم ـ كذلك، لكن الأعم والأهم هو تلك الكتلة الضخمة من الشباب الذى جرى وراء عقيدة فتلبسته تماماً، وصار مؤمناً بها ومقتنعاً بيقين يصل إلى حد الهوس ويدفع للقتل والاقتتال.

إن الذين يقومون بعمليات إرهابية حين يرتكبون هذا الإثم لا يعتقدون أنه إثم بل شهادة فى سبيل الله ومعظمهم بالطبع يدرك أنه يموت (أو يستشهد من وجهة نظره) فى العملية الإرهابية وهو راضٍ قانع راغب فى ذلك. ليس الأمر نقوداً أو رغبة فى مال بل هى الأفكار والعقيدة.

وهناك إيمان حقيقى لدى الشباب الذى يرفع السلاح بأنه يرفع سلاح الحق فى مواجهة الطاغوت (..) و بدون هذه العقيدة الراسخة ما كان لرصاصة واحدة أن تنطلق فى مصر.

إن الخطر فى الموضوع كله أيضاً هو اعتقاد الأمن أنه بالأمن وحده يمكن تصفية جيوب الإرهابيين أو أن المشروعات الإنتاجية فى الصحراء سوف تنقذ شبابنا من السقوط من براثن الانتماء للإرهاب.

إرهاب السلطة أو إرهاب الأمن ينشأ أيضاً عن عقيدة بوليسية أخرى وهو تطهير الوطن من الأعداء.. وصدقنى قد يكون الأعداء اليوم هم الجماعات الإسلامية، فى الغد يكون الأعداء هم المثقفون والكتاب والفنانون. ونروح بعيد ليه؟

ألم يدفع عبد الناصر بالإخوان إلى المعتقلات؟ وأدخل الشيوعيين أيضاً؟

ألم يدفع أنور السادات الجماعات الإسلامية إلى المعتقلات وكذلك فعل مع اليسار الوطنى والشيوعيين والناصريين؟ السلطة ترى أعداءها مهما ارتدوا من ثياب تنكرية وتغوص فى تعاليها الغاشم.

كيف نتصدى لعقيدة العنف والتطرف إذن؟ كيف تتصدى أنت؟

طبعاً زيارة جرحى الشرطة فى المستشفيات عمل إنسانى رفيع ومحترم. لكن لا يحل شيئاً أكثر من النوايا الطيبة. تعال إذن للنوايا الشريرة، من هو الذى يزرع فى الشاب القناوى أو الأسيوطى كل هذا العنف فى عقيدة يتشربها ويؤمن بها ويندفع لها؟ عندما رفع الإرهابيون السلاح للقتل، أو للتفجير، أو للاغتيال ضد السياسيين والمفكرين. هل كانوا يعتقدون أن الأمن سيرفع أمامهم أغصان الزيتون؟ بالعكس حمل أسلحة أقوى وأخطر.. فاندفع دم من جروح الجانبين.

ثم تأتى يا صديقى لتسألنى: كيف نواجه الإرهاب وكيف نتصدى له؟

الحمد لله نحن الآن فى وضع يسمح بالحوار الهادئ دون أن يلعلع الرصاص بجوار أنفنا! وسنحاول.

«كان» فعل «ماضى» ما تسيبه فى حاله

صديقى العزيز إبراهيم عيسى..

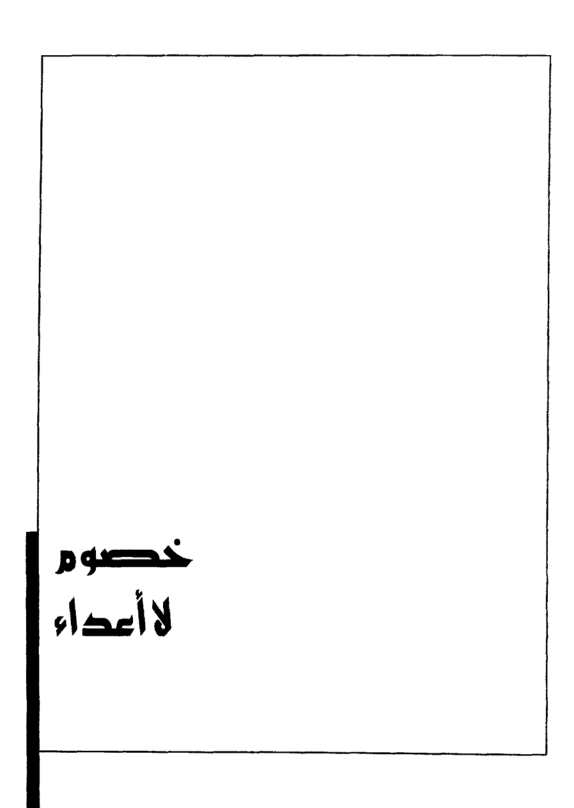
من حقك أن تتعجب من عنوان مقالى وتتساءل: ما الذى جرى يا عمنا بيننا حوار جاد.. فكيف تزين موضوعك بالأغنية الشهيرة التى غنتها المطربة الراحلة ليلى مراد للأستاذ "حمام" أو نجيب الريحانى فى فيلم معروف جمع بينهما فى الأربعينيات وبطولة أنور وجدى. وأرجوك أن تصبر قليلاً يا أخى وستجد الإجابة، وأن هذا العنوان فى محله تماما.

فى البداية يجب أن أشيد بردك الأسبوع الماضى ..أعجبنى جداً ومتفق معك فى كل ما قلته فأنت معى فى إدانة كل أنواع الإرهاب سواء كان الجانى من الشرطة أو الجماعات وأنا معك فى أن الإرهاب باسم العقيدة وليس إرهاب العقيدة هو الأخطر. وهكذا بيننا اتفاق واسع رغم أننا ما زلنا فى البداية وهذا ثمرة الحوار الموضوعى. فهو يؤدى إلى تقارب الأفكار عكس الاكتفاء بتبادل الاتهامات، حيث يقف كل فريق بعيداً عن الآخر دون لغة مشتركة بينهما، بل يسود الموقف الشك والريبة. أكثر من ذلك يا أخى أعترف لك أن فكرتى عنك قد تغيرت عندما بدأنا نتحدث مع بعضنا. كنت أظنك ـ ولا تؤاخذنى ـ علمانيا متوهبا كارها للإسلام والتيار الإسلامى وكل ما يمت إلى الدين بصلة وتوقعت فى ردك الأسبوع الماضى أن تدافع عن قانون الطوارئ وبطش السلطة بالمتدينين زاعما أن الإرهاب يخص الجماعات الدينية وحدها. لكنك كنت منصفا وأدنت إرهاب الدولة أيضا وإن اعتبرت العنف باسم العقيدة أخطر، لكن من قال لك يا أخى أن الإرهاب باسم التدين لا يزول ولا يمحى؟ هناك أسباب عدة له فإذا استطعنا علاج معظمها حققنا نتائج إيجابية، وفى هذا المضمار أتفق معك تماما فى أن الحل البوليسى وحده لا يكفى ولابد من تشخيص الداء بدقة وإزالة المرض من جذوره. وأول الأعراض التى تقابلها أن الدولة تخلط عن عمد بين المتدين والإرهابى فتضعهما معا فى سلة واحدة. العديد من شباب التيار الإسلامى كاره للعنف فإذا نظرت إليه السلطة على أنه متطرف وقامت بتضييق الخناق عليه وسدت كل أبواب الحوار فى وجهه نمت عند كل واحد من هؤلاء الرغبة فى الاستشهاد والتضحية والجهاد فى سبيل الله ما دامت الحكومة لا تكتفى بمحاولة الإرهاب بل تتطاول على التدين ذاته فيصبح الدفاع عنه واجباً بالنفس والنفيس، والدليل القاطع على براءة جماعة «الإخوان المسلمون» من

الانغماس فى الإرهاب يتمثل فى أنه لم يحكم على أى فرد من المنتمين إلى الجماعة فى أى من قضايا العنف على الإطلاق منذ ربع قرن، من حق وزير الداخلية وجهاز المباحث إطلاق الاتهامات لكن القضاء هو الفيصل وحتى المحاكم العسكرية التى قضت بسجن عدد من خيرة الإخوان ظلما وزورا وعدوانا لم توجه إليهم تهمة العنف بل وجهت لهم اتهامات غريبة مثل التحضير لدخول الانتخابات أو العمل على إحياء نشاط الجماعة وكأنه ميت يحتاج إلى من يوقظه.. وقد تقول لى لكن الإخوان لهم تاريخ حافل فى العنف والإرهاب لقد قتلوا النقراشى وحاولوا اغتيال عبد الناصر..و..و.. وتأتى إجابتى متمثلة فى أغنية ليلى مراد الشهيرة «كان فعل ماضى ما تسيبه فى حاله" والماضى احنا مالنا وماله خلينا فى الحاضر وجماله"أتساءل بالفعل لماذا لانعتنى بالحاضر بدلا من القول بأن الإخوان من نصف قرن أو ثلاثين سنة فعلوا كذا، وقد أتفق معك أو أختلف لكن المؤكد أن هذه الجماعة تغيرت تماما بعد عودتهم من جديد إلى ممارسة نشاطهم فى أوائل عهد السادات..

والخلاصة التى أريد الوصول إليها فى هذه النقطة هى ضرورة التفرقة الكاملة بين الشباب المتدين والإرهابيين فهذا دواء مهم لعلاج العنف إلى جانب الأدوية الأخرى فهل تدعو معى الحكومة لكى تتعاطى هذا الدواء حتى تحافظ مصر على صحتها؟.

■■■



خصوم
لا أعداء

صديقى الغالى محمد عبد القدوس..

أشكرك على سوء ظنك الذى تحول إلى حسن ظن بى، وهذا الغمام الذى يفصل بيننا. كل فى موقعه الفكرى بدا مسئولا عن خلط ولخبطة لم تعد تسمح برؤية كل منا على حقيقته، ويعكس هذا أيضاً حالة الأنماط التى نعيشها.

لقد تحول المنتمى للجماعات الإسلامية إلى نمط شاب حليق الرأس والشارب. خشن اللحية الكثة، جلباب باكستانى قصير تحته سروال أبيض، ومصحف فى جيب الجلباب والسواك يبرز من طيات الجيب، وضد الموسيقى والفن والأدب بل ضد الحياة، فظ غليظ دموى، وتحول المنتمى لأى فكرة ضد الجماعات إلى نمط منحل مفكوك القيم، شارب للخمر، فوضوى، ضد الدين، لا يحفظ قرآنا، لا يصلى، لا يصوم، منفر، وإلى غيرها من الصفات. والحقيقة أن هذه الأنماط هى المسئول الأول عن فقدان الحوار الذى يقف وراءه دائماً سوء النية وسوء الطوية وسواد الصورة، ومن هنا تحولت المناظرات التى جرت منذ سنوات من مناظرات بين خصوم إلى مناظرات بين أعداء (..)

آه.. هذا يفتح قوساً آخر فى حوارنا، هل نحن خصوم فى قضايا فكرية سياسية أم أعداء بين متدينين ولا متدينين مكمن المشكلة ومربط الفرس هنا.

هل نستطيع بالفعل - كلانا وأقصد بكلينا ما نمثله من تيارات - أن نتجاوز الأنماط التقليدية التى حفرها وجسمها ونشأها كل منا عن الآخر؟ هل يمكن أن ندير حواراً بين

خصوم وليس بين أعداء؟ الحوار بين خصوم تقوده الكلمات والأفكار والرؤى، أما حوار الأعداء فهو صراع بالدم وبالاغتيال. إن الشرط الأول فى هذا الحوار هو خلوه من الرصاص ومن التكفير.

فالذى حدث طيلة السنوات الماضية حالة من استنفار الرصاص وحواس التكفير.

ستقول لى الإخوان ليس لهم دخل. اسمح لى يا صديقى الأمر الآن أبعد من تبرئة طرف ضد طرف آخر وليست المعارك الدائرة الآن ـ فكرياً على الأقل ـ بين إخوان وحدهم وعلمانيين وحدهم. بل هى تتسع لأكثر من ذلك ولأبعد من مجرد الدفاع عن فصيل فكرى ننتمى إليه أو نبادله وداداً.

إننى لا أنوى الدخول فى مساجلات حول عنف «الإخوان المسلمون»، ليكن هذا ماضياً يا عزيزى كما تريد فهو لا يهم كثيراً، تعال للحاضر.

إن جماعة الإخوان نفسها هى التى ترفض الآن حزب الوسط، فإذا كانت الجماعات المتطرفة التى تنادى بالدم انشقت عن الإخوان كما قلت، وحزب الوسط وهو الذى ينادى بالتعامل مع الديمقراطية. قد انشق عن الإخوان فمن هم الإخوان الذين يرفضون العنف ويرفضون الديمقراطية أو الأحزاب؟

المهم.. نأتى إلى نقطة أخرى وهى الفصل بين المتدين والإرهابى. ترى يا صديقى أن الدولة أو الحكومة تخلط عن عمد بينهما. والحقيقة أننى لا أرى ذلك أبداً، وما أراه هو أن الحكومة تزايد ليل نهار على إسلامنا وتحاول طيلة الوقت إظهار تدينها «المنقوص» القشرى والشكلى على الملأ وما أكثر التدافع لإظهار التدين بدءاً من حفلات الإفطار وانتهاء ببرامج وشيوخ التليفزيون أو العكس.

ولم يكن هذا ابن اليوم، بل منذ عادى جمال عبد الناصر الإخوان وهو على الصعيد الآخر يحاول تقديم أكبر وجبة تدين للشعب ويلح علينا الآن أولئك الذين يزايدون علينا وعلى إسلامنا صباح مساء، ونظرة واحدة لأعضاء مجلس الشعب ومناقشتهم وللوزراء وتصريحاتهم ولرجال الدين الرسمى ووعظهم وللتليفزيون وبرامجه لتعرف أن الكل يفصل بين المتدين والإرهابى لا لشئ إلا ليلعب هو دور المتدين!!

■ ■ ■

كلام
فى الحب

صديقى العزيز إبراهيم عيسى..

فى البداية أضع أكثر من خط على كلمة صديقى، وستعرف حالا لماذا ركزت على ذلك ولكن لابد أن نعزى أنفسنا أولا ونقدم خالص التعزية للوطن فى مصابه الأليم، وأقصد الحادث الإجرامى الفظيع الذى وقع بالمنيا، وذهب ضحيته تسعة من الأقباط، وفى مواجهة هذا الإرهاب لابد أن نتناسى خلافاتنا ونقف جميعا صفا واحدا فى مواجهة العنف المسلح الذى ما زال يحصد أبناء الوطن مسلمين وأقباطا، وأظن أنه لا يعقل أن نختلف فى هذا الموضوع.. اتفقنا.

صديقى العزيز : عندى ملاحظات عديدة حول ما كتبته مؤخرا لكننى سأبدا بملحوظة واحدة فقط، وأفضل تأجيل الباقى لسببين:

السبب الأول: لا أريد أن تبدو الخطابات المتبادلة بيننا وكأنها سجال شخصى أو (خناقة) على صفحات "الدستور" كل واحد يريد الانتصار على الطرف الآخر، ليس هذا هو الغرض من حوارنا، بل أتمنى أن تكون مناقشة حرة موضوعية ومتحضرة فى مختلف القضايا بين تيارين مختلفين يمثلان قطاعا واسعا من الشعب المصرى.

السبب الثانى - قد يبدو لك مفاجأة - وهو أنى قد قررت الابتعاد عن السياسة - مؤقتا - والكتابة فى موضوع الحب والعشق والغرام الذى أفردت له مساحات واسعة فى الأسبوع الماضى كنت موفقا فيها غاية التوفيق، لكن عندى وجهة نظر مختلفة أحب أن أناقشها معك.

وأعرف مقدما ياصديقى مايدور فى مخيلتك من تساؤلات عندما فوجئت بأننى قررت الكتابة فى الحب.. من المؤكد أنك ستسأل " إحسان عبدالقدوس - رحمه الله - كان أستاذ الأساتذة فى الحب، فما رأى ابنه فى هذا الموضوع؟

وأعرف أنك ستقول لى.. ياعمنا.. لاتحاول " التزويغ " من الإجابة عن هذا السؤال بالحديث عن حب الله والوطن والأهل والناس إلخ ... كل هذا من البدهيات .. أريد معرفة رأيك فى الحب بين الرجل والمرأة.. الفتى والفتاة.. آدم وحواء.. وستضيف قائلا: أنت الذى أدخلت نفسك بنفسك فى حقل الألغام عندما تطوعت للحديث عن الحب دون أن يطلب منك أحد ذلك، فلا تحاول الهروب الآن !!

ومن البدهى يا صديقى أننى مادمت قد تطوعت بالكتابة عن هذا الموضوع، فلابد أن يكون كلامى مركزا ولكن من ملعبى أنا وليس من ملعبك أنت فالحب ليس فقط روميو وجولييت !! وأبدأ بالقول إن التيار الاسلامى الذى أتشرف بالانتماء إليه يرى الحب شيئا عظيما جدا بشرط أن يكون شاملا،ولا يقتصر فقط على العلاقة بين الرجل والمرأة.. فالحب الحقيقى مثل الحرية وكل القيم العظيمة الأخرى لا يتجزأ أبدا، لكن للأسف ضاعت هذ المعانى العظيمة، فأصبح الناس يظنون أن الحب هو فقط مجرد العشق والغرام، واختفى من يدافع عن حرية خصمه إلا نادرا. وطبعا كل ما أقوله مجرد مقدمات سأشرحها تفصيلا إن شاء الله بما فيها الحب بين الرجل والمرأة.. لكننى الآن اسمح لى بأن أركز معك على الملحوظة التى اخترتها من أول المقال وقد ترى أنها لا صلة لها مطلقا بالحب، مع أننى أراها وثيقة الصلة به تماما.. وهو ما نشرته فى خطابك لى منذ أسبوعين تحت عنوان " خصوم لا أعداء " وقلت فيه بالحرف الواحد : هل نحن خصوم أم أعداء ؟؟ خصوم فى قضايا فكرية سياسية أم أعداء بين متدينين ولا متدينين.. إن هذا

هو مكمن المشكلة ومربط الفرس !!واقترحت أن ندير حوارا بين خصوم وليس بين أعداء !!

وأقول لك "آسف يا صديقى، وأضع تحت كلمة صديقى خطين للمرة الثانية، ولعلك عرفت السبب، فلا أستطيع أن أشكرك وأنت تنظر إلىَّ كخصم.. وهذا أمر يدعو بالفعل للدهشة والعجب.. كيف أبدأ خطابى قائلا : صديقى العزيز إبراهيم عيسى، وتبدأ خطابك " صديقى الغالى محمد عبد القدوس ثم نتناقش كخصوم..؟ هل لفظ "صديقى" نقوله فقط على سبيل المجاملة والبروتوكول؟؟ والسؤال : "لماذا لا نتناقش كصديقين لكل منهما وجهة نظر مختلفة، لكن نحب بعضنا البعض رافعين شعار : "رأيى صواب يحتمل الخطأ، ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب"، وهو ما قلته لك منذ أول لحظة،خصم من وجهة نظرى هو من يتطاول على دينى، ويرفض الحوار، ويسخر من المتدينين ويستهزئ بهم وأنت لست كذلك، والحوار الدائر بيننا دليل ذلك، أما العدو فمعروف: الصهاينة أعداؤنا.. من قتلوا الأقباط فى المنيا أعداء لنا.

وللأسف "يا صديقى" العديد من المتدينين ينظرون إلى غيرهم على أنهم خصوم بذات مفهومك ! وقد عملت دائما على مراجعتهم وأقول لهم باستمرار أعرف كثيرا من "الأصدقاء" لا ينتمون إلى التيار الإسلامى.

ترى، ما صلة هذا الموضوع كله بالحب.. هل خلطت الأوراق؟ لا.. أبدا.. أبدا.. الحب الحقيقى كما أتصوره أن يكون للإنسان المحب قلب كبير.. كبير جدا يسع الناس كلهم حتى الذين يختلف معهم فى الرأى.. أقول لك : أحبك وأختلف معك.

«صديقك».

ليس كلاما فى الحب

صديقى الغالى محمد عبد القدوس..

أكتب لك وحسرة سوداء تطفو على سطح قلبى من حادث أبو قرقاص حيث اغتيل الأقباط أثناء تأديتهم الصلاة، وهو حادث مريع شنيع ليس فقط لأنه يثبت ما صرخنا به وحذرنا منه وهو أن الإرهاب لم ينته كما بشرنا أساتذة وزارة الداخلية الكبار الذين كان الود ودهم توزيع الشربات لتهنئة الوطن بالانتصار العظيم، الإرهاب لم ينته وها هى حادثه الخسيسة تطل اليوم ضد الأقباط وغدا ضد الأجانب وبعد غد ضد مفكر وبعد غد آخر،" لو كان فيه بعدها غد" ضد مسئول" الكل احتفى واحتفل بنهاية الإرهاب حتى دوت رصاصات المنيا، وللأسف يا صديقى إننى أرى الكل أيضا ينفض يده من مسئولية قتل الأقباط، الجماعات المتطرفة من خلال مرصدها الإعلامى فى "لندن" أدانت الحادث وقالت مالناش دعوة، «الإخوان المسلمون» كالعادة أدانوا وشجبوا واتهموا إسرائيل. الحكومة أدانت وشجبت وصرفت معونات واتهمت إيران والسودان (!!).

الكل يتبرأ حتى يكاد يكون الهدف أن نقتنع بأن الأقباط قتلوا أنفسهم (!!) المشكلة الجذرية أن هذه الإدانات أسوأ من الجريمة الأصلية، فكل التيار الدينى يمضى وراء ترديد مقولات محفوظة ومصبوبة ومسكوكة فى معامل السلف حول "الإخوة الأقباط" وعن "تعاليم الإسلام بحسن معاملة القبطى"، ثم كم حادثة تاريخية تثبت أن الإسلام أحسن إلى أصحاب الكتاب وأهل الذمة اه.. أهل الذمة، يامحمد!

هذه هى المشكلة أن من يدين الإرهاب ضد الأقباط ينظر إلى الأقباط ليس على أنهم مواطنون وطنيون بل بكونهم درجة ثانية، أهل ذمة موصى عليهم (!!)

وفى ظنى ـ ولدى من الحجج ما أدعى صدقها أنتظر أن يطلبها منى أحد ـ أن تعبير أهل الذمة قد انتهى فعليا وتاريخيا، وأنه الآن لا يوجد أهل ذمة فى الدولة المسلمة. بل يوجد مواطنون وطنيون لهم كافة الحقوق والواجبات وأنه لا فرق بين مصرى ومصرى، لا فرق بين عقيدة وعقيدة، بل لا ضرورة لأن أعرف أنك مسلم أو مسيحى، يكفى أنك مصرى يا أخى (!! الدين لله حقا والوطن لى ولك ولنا ولهم.

أما التقسيم الذممى والطائفية النفسية التى تسيطر على لغة خطاب الاستكار الصادر من التيار الدينى ومنه «الإخوان المسلمون» فهذا هو محط الانكسار الحقيقى الذى أصاب العلاقة بين الأقباط والمسلمين، أما أن ينفض الجميع مسئوليته عن قتل الأقباط فهو أمر بات بشعا وسخيفا، فليس هناك إذن إلا السيدة خالتى هى التى قتلت الأقباط مادام المتطرفون لم يقتلوهم (!!) ودعايات وخطابات التيار الدينى لم تشارك فى القتل المعنوى، والحكومة باسترخائها وعدم رغبتها فى أن تصارح الناس بحقيقة أن الإرهاب مؤثر وفاعل وأنها لم تهزمه بعد.. كل هؤلاء دخلوا وتداخلوا فى مأساة أبوقرقاص.

أما حكاية إسرائيل والركون إلى أنها هى التى قامت بالعملية فهذه رواية يرددها كثيرون حتى أظن أن المقصود منها تبرئة الإرهابيين (..)

أما إذا كانت إسرائيل هى التى قتلت الأقباط، فمعنى ذلك عندى أحد أمرين، إما أن إسرائيل اخترقت الجماعات المتطرفة وتعيش إسرائيل بيننا فى الصعيد، أو أن أجهزتنا الأمنية فى إغفاءة أدت إلى أن تصل إسرائيل إلى المنيا وهى ـ الأجهزه ـ لا تعرف!

اغفر لى حماسى فأنا موجوع حقا لأن أحدا لايسمع الكلام، والناس مصممة على ألا تنظر للحقيقة من كل زواياها، أما ما قلته يا صديقى "وضع تحت صديقى عشرين خطا"

عن الخصومة والصداقة، فأنا أرى أن الخصومة الفكرية والسياسية لا تعنى أبدا عداوة ولا منافسة ويمكن لصديقين حميمين أن يختلفا بقوة وبحدة أحيانا وبحب فى أكثر الأحيان دون أن يؤثر ذلك على صداقتهما، والتاريخ المصرى كله عبارة عن حلقات من خصومات فكرية وسياسية دارت بين أصدقاء ولم يعكر صفو صداقتهما أى خلاف أو اختلاف أو خصومة.

الانحلال عدو خطير للحب

عزيزى وصديقى إبراهيم عيسى..

يبدو أن الحديث معك عن الحب بأنواعه المختلفة سيطول.. هناك حديث ينتظرنا عن العلاقة بين المسلمين والأقباط وكيف يكون الحب بين أبناء الوطن الواحد.. فهذا الحب هو السياج الذى يحمى بلادى فى مواجهة الفتنة الطائفية والرصاص الذى لا يفرق بين مسلم ومسيحى.

وقد بدأت الحديث عن الحب بين الرجل والمرأة، والحوار بيننا فى هذا الموضوع ليس من قبيل الترف بل هو غاية الأهمية، لأن هذا الحب هو أساس كيان المجتمع كله، وأتشوق إلى معرفة رأيك فيه لأننى أعرف أنك أديب وكاتب اختطفتك الصحافة " وأظن أن العديد من القراء يشاركوننى هذا الشوق.

اسمح لى الدخول فى الموضوع مباشرة دون لف أو دوران لكى أضع النقاط على الحروف فى صراحة ووضوح " الحب شىء عظيم جداً، لكن له عدو مخيف اسمه الانحلال أو الفساد الأخلاقى.. تجد الراقصة فلانة مثلا تقول أنها لا تستطيع أن تعيش بدون حب!! حسناً هذا حقها، فهى قبل كل شىء إنسانة ولها قلب لكن ما أعترض عليه هو أن يكون قلبها مثل " الفندق " لا أحد يقيم فيه بصفة دائمة أو بمعنى آخر يكون عدد

عشاقها يماثل عدد الفساتين التى تملكها.. فهل هذا هو الحب؟! أبدا أنا آسف.. إنه الانحلال والفساد الأخلاقى بعينه لا فارق بين أن تكون صاحبة هذه اللوكندة راقصة أو أميرة، فما نفعله سلوك مدان يمثل " العيب "الذى نعرفه بفطرتنا. والخطيئة هى الخطيئة لا فارق فى ديننا بين أن يكون صاحبها رجلاً أو امرأة، لكن فى مجتمعنا " الشرقى " تجد العجب.. لا مانع أن تعدد مغامرات الشاب النسائية باسم الحب دون أن يلوث ذلك سمعته وهو قد يتزوج فى النهاية، أما المرأة إذا فعلت ذلك فينظر إليها الناس على أنها فتاة منحلة وتسوء سمعتها عكس الرجل الذى تراه يفتخر أنه «دون جوان»، وكل هذا باسم الحب، ويا أيها الحب كم من الفساد يرتكب باسمك..

الحب أنواع..

وكلامى عن الحب ذاته يبدأ بالمقولة الشهيرة «وراء كل عظيم امرأة» وهذه الحكمة أعترض عليها لأسباب ثلاثة.

إنها ليست وراءه بل بجانبه.. والصحيح بجانب كل عظيم امرأة تحبه.

والحكمة ناقصة لأنه فى معظم الأحيان تجد وراء كل فاشل امرأة أيضا.. وأخلص من هذا إلى التأكيد على أن الحب أنواع.. هناك حب يرفع الإنسان إلى قمة وآخر يهبط به إلى الحضيض.. هل يمكن أن تستوى الجنة والنار، الغنى والإفلاس السعادة والشقاء؟!

الحب الذى يسمو بالإنسان ويسعد به هو الحب المتكامل الصادر من قلب كبير يملأ الحب حياته.. حب الله.. الأهل.. الناس. سيعرف هنا كيف يحب ويسمو بحبه ويحافظ عليه لكن إذا كان لا يحب إلا ذاته فلا يمكن أن ينجح فى حبه إلا إذا كان الطرف الآخر صاحب قلب كبير بالمفهوم الذى ذكرت.. يأخذ بيده إلى مفهوم الحب الصحيح.

والحب الحقيقى يا صديقى هو عملية بناء حياة كاملة يسعد بها الزوجان وتقوم على العقل والعاطفة وتنشئ الأسرة وتتواصل الأجيال عن طريقه.. أرفض من يقول: الزواج مقبرة الحب!! العشق لا يعرف الحسابات، بل هو لحظات مجنونة.. هذه منتهى الأنانية.. هل الحب هو كلام معسول فقط؟.. صحيح أنه قد يولد صبيا رشيقا، لكنه يعيش فيجب أن ينضج، ويتحمل كل طرف مسئوليته.. هل يعقل أن يدق قلبى ولا أسعى للارتباط بفتاة أحلامى كهدف أساسى أسعى لتحقيقه لتتويج حبى لتشاركنى " الحلوة والمرة " أثناء كفاحى فى الحياة؟

لكن هناك من تحب لكنها تتزوج بآخر قادر على توفير حياة كريمة لها بدلاً من البهدلة " باسم الحب.. قلت لك يا صاحبى : الحب أنواع.. وهل يستوى الغنى والإفلاس فى الحب وليس فى الفلوس؟

وفى الاسبوع القادم إن شاء الله يا صديقى العزيز سأقدم لك نموذجا عمليا لأروع قصة حب بين رجل وامرأة ستكون مفاجأة لك لكنها جميلة.

●●

مولاى وروحى فى يده

قد ضيعها سلمت يده

صديقى الغالى محمد عبد القدوس..

تريدنى أن أتحدث عن الحب.. حسنا.. لأتحدث..

مثلى الأعلى فى الحب هو حب سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ للسيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ ومنحها بقدر ما منحت الحياة الإنسانية عطورا من النبوة وروائح من

مسك الحكمة والمحبة الصافية.. حب سيدنا محمد ﷺ للسيدة عائشة الذى كان مثالا فى الوجد والوله والولع والانصهار والاقتراب والاندماج والعلانية؛ علانية العاشق لعشقه غير خاف ولا متخف.

فى كل معاملاته وسيرته كانت السيدة عائشة ماثلة حبيبة ترقى على الوصف وتسمو فوق العبارة وتتجلى محبتها كالقمر الوهاج نورا فى ليالى الصحراء القاحلة.

تأمل معى حال سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أثناء أزمة حديث الإفك وشاهد هذا الأرق والقلق والعذاب المعتمل فى نفس عاشق والغيرة المشتعلة فى ذات حبيب والرغبة الحارقة فى براءتها والغض العميق عن نصحية كل صاحب بأن ينسى أو يبدلك الله خيرا منها، ثم هذا الألق النبوى الساطع عند براءتها، وهذا الإقبال الإلهى نحوها. وهذا الدلال والإعراض والترفع والحزن وغضب الخاطر منه حتى لطمها سيدنا أبو بكر فتصدى النبى "صلوات الله وسلامه عليه " للدفاع عنها ولمسة كتفيها فى حضنه النبوى الحنون العاشق الملهوف على تبرئة حبة القلب ونني العين.

اسمع ياصديقى وقد أصررت على أن أحدثك عن الحب، والحب عندى مبهم السبب ظاهر الظواهر ولا أراه سوى وجد مجنون ولهف ملهوف وحنان كاسر ومشاعر جامحة وعلانية مفرطة ووله بله، ومرض مرضى، وعشق بالغ، وأرى المحبوبة وقد تجلت عن كل معيبة وارتقت عن كل نقص وارتفعت إلى مصاف الصفاء المطلق وانتشت القلوب بالغرام المدله وانشطرت العقول فما باتت ترى العيون سوى محب ومحبوب.

هذا هو الحب عندى وقد نجده عندك أو عند آخرين غير ذلك، لكنه بلاء من الله واختبار صعب مرير أن يكون فهمك للحب هكذا وصلتك به على هذا النحو ومسيرتك فيه بهذا القدر المحموم من طيش المشاعر.

أين ضوابط الدنيا والآخرة تجاه هذا الحب؟ موجودة ومحترمة وحاضرة ولا شك، لكن الحب يأخذ فى كل شىء " عندى أذكرك " أكثر الأمور تطرفا وأكثر حدود التسامح تجاوزا، وقد نغفر للمحب والمحبوب ما لا نغفره لأحد آخر، وقد نستخدم معهما عفوا فيما لا يضر بضرره إلا قلبين شغوفين شغفا برأه الله منهما يوما.

ما أجد أحدا يسعفنى فى وصفى إلا أحمد شوقى أمير الشعراء والعاشقين حين قال:

بينى وبينك فى الحب

مالا يقدر واش يفسده

ما بال العاذل يفتح لى

باب السلوان وأوصده

ويقول تكاد تجن به

فأقول وأوشك أعبده

مولاى وروحى فى يده

قد ضيعها سلمت يده

ناقوس القلب يدق له

وحنايا الأضلع معبده

قسما بثنايا لؤلؤها

قسم الياقوت منضده

ما خنت هواك ولا خطرت

سلوى بالقلب تبرده

أقوال لك يا أخ محمد:

الحب هو تماما.. مولاى ورحى فى يده فإذا ضيعها.. وهو بالفعل يضيعها.. سلمت يده.

وإيه يعنى؟

■ ■ ■

عبد الناصر..
المسئول الأول عن
كارثة ١٩٦٧

ماذا لو لم يتخذ عبد الناصر قراراته السياسية والعسكرية التى أدت إلى حرب يونيو سنة ١٩٦٧ وكارثة الهزيمة؟

هذه القرارات هى أحد الأسباب التى تدفعنى إلى القول : عبد الناصر يتحمل المسئولية الأساسية فى هزيمتنا القاسية.. فقد قام بإغلاق خليج العقبة، وطلب من الأمم المتحدة سحب قوات الطوارئ الدولية، وكانت مفاجأة غير سعيدة للشعب المصرى الذى لم يكن يعلم شيئا عن هذه الأوضاع، وأن البواخر الإسرائيلية تمر من أمام أعيننا دون أن نستطيع منعها، كما نشتم الرجعية العربية ونسمح بحرية الملاحة للعدو. الصهيونى!! المهم أن قرارات عبد الناصر أدت إلى الحرب مع إسرائيل..

كان الزعيم الأسبق لاعبا ماهرا فى السياسة وظن أنه يستطيع تجنب الحرب فى آخر لحظة بفضل براعته فى المساومة وألاعيب السياسة؛ لكنه سقط وأسقط مصر كلها معه بل والعرب أجمعين من المحيط الهادى إلى الخليج الثائر، ووقع كثير من الأراضى العربية فى يد الاحتلال الصهيونى بالإضافة إلى ما أحتله سنة ١٩٤٨، وضاعت القدس الشريفة أولى القبلتين وثالث الحرمين. من المسئول الأول عن هذه الكارثة؟ كلنا شركاء فى الهزيمة لكن عبد الناصر يتحمل المسئولية الأولى. كان اختياره لمواجهة إسرائيل سيئا للغاية، فقد كان جزء كبير من الجيش المصرى فى اليمن، ولا أظن أننا قد وصلنا إلى مستوى أمريكا فى قوتها العسكرية بحيث نستطيع أن نحارب فى جبهتين فى وقت واحد !! "تهويش"

والغريب أننى سمعت من بعض أنصاره أن أمريكا هى التى دفعته دفعا إلى الحرب. يا سلام.. هل هذا منطق؟ كيف تحارب وأنت غير مستعد للحرب ؟؟

وهنا نأتى إلى النقطة الثانية بالإضافة إلى مسئولية عبد الناصر السياسية فهو المسئول الأول عن الهزيمة العسكرية، والسبب أنه القائد الأعلى للقوات المسلحة وهذا المنصب ليس شرفيا، أو أن شاغله لا قيمة له!! بل يرجع إليه الأمر كله ولا أظن أنه مجرد طرطور !! وقد رأينا العجب من أنصار عبد الناصر وبعضهم مثل الدبة التى قتلت صاحبها !! فهم يحاولون إخراجه من مسئولية الهزيمة مثل الشعرة من العجين!! ويتهمون عبد الحكيم عامر القائد العام للجيش بأنه المسئول الأول عن هذه الهزيمة العسكرية وأين دور عبد الناصر؟ الإجابة لا تستطيع أن تلقى عليه باللوم كله لأن عامر كان المسئول الأول عن الجيش وبعد هزيمة سنة ١٩٦٧ قام عبد الناصر بتصحيح الوضع والقضاء على عامر الذى انتحر (أو انتحروه) ومن جديد أتساءل : بالذمة هل يعقل هذا المنطق؟؟ كيف تحاول تبرئة القائد الأعلى للقوات المسلحة من تحمل المسئولية الأولى للهزيمة!!

ومن أغرب ما سمعت فى هذا الصدد أن عبد الناصر ليس مسئولا لأنه قام بتنبيه قواته إلى أن إسرائيل ستقوم بتوجيه ضربة جوية إلى قواتنا الجوية !! بل يتطوع البعض مؤكدا أنه حدد اليوم والساعة أيضا!! يا سلام على العبقرية والقدرة على التنبؤ بالغيب!! يعنى عبد الناصر من وجهة نظر هؤلاء أخلى طرفه!! وليس مسئولا عما حدث بعد ذلك!! يا عالم قليل من العقل والمنطق.. لماذا تصرون على أن عبد الناصر كان طرطورا؟؟ أليس من مهمته كقائد أعلى للقوات المسلحة التأكد من أن كل شىء تمام وأن قواته قادرة على ردع أى عدوان ورد الصاع صاعين وثلاثة!! وإذا كان عبد الحكيم عامر قد قال له كل شىء تمام، وبرقبتى يا ريس " ثم انكسرت رقبته ورقبتنا جميعا وأصبحت مثل " السمسمة

"فهى فضيحة مدوية أيضا لعبد الناصر إذا كنتم تصرون على أنه. ولا مؤاخذة." مغفل لا يدرى عن جيشه شيئا!! وهذا ما أرفضه له، أفضل اتهامه بالتقصير فقط بدلا من اتهامه بالتقصير وأنه مغفل معا!! هذا هو السبب الأساسى لهزيمتنا فى سنة ١٩٦٧. والكارثة التى حدثت نتاج طبيعى لمجتمع الخوف والديكتاتورية والتسلط وتقديم أهل الولاء على أهل الكفاءة. وبصراحة أختلف مع الكثير من زملائى أبناء التيار الإسلامى الذى أتشرف بالانتساب إليه والذين يرون أن عصر عبد الناصر كان ليلا حالكا طويلا. الوفد قريب جدا من هذا الرأى. لا.. ناصر فعل الكثير من أجل مصر، الإصلاح الزراعى. العدالة الاجتماعية، تأميم قناة السويس، بعث القومية العربية، الإحساس برجل الشارع الغلبان. لكن عيبه الأكبر أنه كان ديكتاتورا متسلطا، وهذه الخطيئة التهمت إيجابيته كما تأكل النار الحطب!! ومصر التى حاربت فى سنة ١٩٦٧ كانت فى أسوأ أوضاعها.. سلطة الحاكم مطلقة، الحكم البوليسى على أشده، السجون مليئة بالمعتقلين.. كتابة التقارير فى عصرها الذهبى!! لا أحد يستطيع أن يقول لا للحاكم ولا حتى لأحقر أتباعه قادة الجيش: سمعتهم سيئة، تركوا مهمتهم وتفرغوا لأشياء أخرى واستولى ضباط الثورة على كل شىء فى البلد من أول مجوهرات أسرة محمد على وحتى الخارجية والمؤسسات الصحفية والقطاع العام الذى تحول إلى كنز للسلب والنهب وتعيينات الحبايب والأصحاب بدلا من أهل الكفاءة والتخصص، وانكمش الشرفاء وأصبح كل إنسان يبحث عن لقمة عيشه فقط.

وبدلا من إدانة هذه الفترة المشئومة، اعتبارها انحرافا خطيرا عن طريق الثورة تجد حتى الآن من يدافع عنها، فيرى أن محاكمة مصطفى أمين مثلا كانت عادلة !! وأنه بالفعل كان جاسوسا للأمريكان!! وأن «الإخوان المسلمون» يستحقون قطع رقبتهم وما

حدث لهم فى سجون عبد الناصر !! مع العلم بأن رقبتنا جميعا قد انقطعت فى هزيمة سنة ١٩٦٧ ..لقد نجح ناصر فى القضاء على طبقة الباشوات لكن هل استطاع إقامة مجتمع الكفاءة والعدل كما كان يتمنى أم مجتمع الشعارات وتفوت على الصحرا تخضر !! ونشأت طبقة أخرى لا تقل شراسة عن طبقة الباشوات إن لم تكن أشد وأنكى، وشهدنا عصر القطط السمان والفساد على الطريقة الاشتراكية تحت شعارات حرية اشتراكية ووحدة !!

الغريب أنه بعد ثلاثين سنة من الكارثة، مازالت آثار مجتمع الهزيمة تحكمنا حتى هذه اللحظة.. السلطات شبه المطلقة للحاكم. نفاقه وتأليهه.. ممارسات الحزب الوطنى الجاثم على أنفاسنا لا تقل سوءا عن أيام الاتحاد الاشتراكى.. التعذيب فى السجون على أشده، الحرب ضد التيار الإسلامى شاملة، وبلادى مليئة بسجناء الرأى، وبعد الفساد على الطريقة الاشتراكية أطل الوجه القبيح من الرأسمالية علينا، والتهم خيرات البلد كما التهمها من قبل أنصار حرية.. اشتراكية.. وحدة !!

إلى متى يا ربى تظل مصر تدور فى حلقة مفرغة مثل التور الداير فى الساقية !! حقلا للتجارب يتلقفها حاكم وراء آخر وهو فى كل مرة بالطبع عبقرى زمانه !! متى تتحقق أهداف ثورتنا كاملة فى إقامة حياة ديمقراطية سليمة وعدالة اجتماعية حقيقية بلا ظلم ولا قهر؟؟

إن حديثى عن هزيمة يونيو ليس تاريخا.. الهزيمة تلقى بظلالها السوداء حتى هذه اللحظة.. عقليتها مازالت تحكمنا.. مجتمع الهزيمة والقهر والخوف هو سبب مصائبنا فى الماضى والحاضر والمستقبل.

للأسف يمكن أن تحدث

لماذا حدثت نكسة يونية ١٩٦٧

سؤال فى التاريخ.

لماذا تحدث نكسة يونيه ١٩٦٧

سؤال فى المستقبل

وهذه مرة نادرة فى تجاربنا أن يختلط الماضى والتاريخ من ناحية بالمستقبل من ناحية أخرى وهذه مرة نادرة كذلك أن نرى ونعيش ونعايش معا أسباب ونتائج حدث مثل يونية ١٩٦٧ فى لحظة واحدة وفريدة رغم تكرارها.

كى يكون كلامى مفهوما أحاول أن أشرحه بأكبر قدر ممكن من الاتزان، حيث إن الحديث عن يونية ٦٧ يتمتع بإحدى صفتين الأولى إما محاولة تهوينه حتى يكاد يكون هامشيا تافها، وكأن كل حياتنا نكسات ونكبات و١٩٦٧، فلماذا نخص ١٩٦٧ وحدها بالأزمة والنكسة والنكبة والملطمة؟ بل إن البعض فى التهوين من شأن ١٩٦٧ يمضى فى غيه إلى حد أن آثارها زالت بمجرد أن استعادت القوات المسلحة مع عبد الناصر فى الحقبة التالية لـ١٩٦٧ بعض قوتها ومارست حرب الاستنزاف فكأن ١٩٦٧ لم تكن إلى هذا الحد والقدر من التهوين والرعونة والتبسيط المخل المعجز فى إخلاله واختلاله..

الصفة الثانية هى التهويل فى ١٩٦٧ إلى المضى فى أن ١٩٦٧ كانت قاصمة للظهر الذى لا قوام فيه ولا قيامة له وإننا متنا وضعنا وربما ينطبق هذا التهويل على الحكومات والأنظمة إنما لا ينطبق ولا يجوز له أن ينطبق على الشعوب والأمم.. أظن وأتمنى.

إلى هنا و١٩٦٧ خطر وخطير ويجوز عنه وفيه كلام كثير لكننى سأتوقف فقط عند حتمية ١٩٦٧، أقصد الوقوع الحتمى لنكسة ١٩٦٧، وهذا له علاقة حميمة بأسباب ١٩٦٧،

ثم سأتوقف عند ناحية أخرى وهى حتمية تكرار ١٩٦٧ لأن أسبابها للأسف مازالت ولا تزال ماثلة حاضرة تختلط مع نتائجها فإذا بالكارثة الحقيقية أن نكسة يونيه ٦٧ قد حدثت بالفعل.

لكن الأخطر أنها قد تحدث مرة أخرى.. صحيح أن نكسة يونية كانت عسكرية وتكرارها بهذا الشكل بعد عن الاحتمال وبأدق تعبير بعيد عن التحمل، لكننى اقصدها النكسة السياسية السابقة واللاحقة.

هل أنا متشائم..

ربما.. وربما تحمل المعنيين.

ربما نعم وربما لا..

لماذا حدثت نكسة يونيه..

الإجابة عندى لثلاثة أسباب.

الأول احتكار السلطة واحتقار الشعب.

إن تجربة يوليه ١٩٥٢ (المستمرة حتى الآن) تعطى مثلا حيا فى احتكار السلطة الأمر الذى يدفع إلى احتقار الشعب بالضرورة وإلغاء اختياره، وإنهاء دوره.. إن السلطة فى ١٩٦٧ كان لديها هذا الإحساس العاتى بالبقاء والخلود فى أيدى نظام يوليه (الباقى حتى الآن) الذى لايقتنع ولا يسمح لأحد بأن يقتنع بنظرية تداول السلطة، إن احتكار السلطة هو الأب الطبيعى للنكسات والأزمات حين تشعر أى سلطة بأنها مخلدة وباقية وأن شيئا لايمكن أن يمس "أطرافها فإذا بهذه السلطة تنقلب إلى صراع داخلى أهلى محموم فى اقتسام كعكة الحكم (وهو ما كان) أو تأليه وتمجيد وتخليد زعيمها، ووضعه موضع الآلهة

والأنبياء والحكماء (وهو ما كان) بل يورث لدى الشعب يأسا من التغيير واستسلاما قويا جذريا ومحموما لهذه السلطة إلى حد التفويض السلبى لها بأن تفعل ما تفعله.

عبد الناصر وعبد الحكيم وشلتهما احتكروا السلطة ومن ثم غابت عن السلطة رقابة التداول إن أى سلطة فى الدنيا كيلا تتجمد وتتصلب وتتعفن أحيانا لابد من إحساس قوى لديها بأنها زائلة لابد من وجود جق تداول السلطة من أجل نقاء السلطة ومن أجل صالحها ومن أجل بقائها فعلا، لكن أن تتحول السلطة إلى كائن أسطورى خرافى فهذا ما تم من عبد الناصر وثورته ونظامه وهذا ما يتم حتى الآن، السبب الثانى هو غياب الديمقراطية وتقنين الديكتاتورية.

بمعنى أن السلطة القوية الحاكمة الباقية الخالدة لم تعد فى حاجة إلى ديمقراطية تراقبها أو شعب يحاسبها أو معارضة تنتقدها أو منافسين يواجهونها ويهددون بقاءها ومن ثم استغنت السلطة عن الديمقراطية فى غياب كامل ومطلق، وانتهى الأمر فعلا إلى سياسة ملقتش حد يردنى. لم يرد أحدٌ أحداً فى فترة نكسة يونيه وفى فترة عبد الناصر عموما وما بعده وما بعدها.

لم يكن الأمر مجرد غياب للديمقراطية بكل معانيها السياسية وغياب الحرية بمعناها الواسع والضيق. مع احترامى لكل الكلام الذرب حول الحرية الاجتماعية والعدالة الاقتصادية.. بل انسحب الغياب إلى تقنين للديكتاتورية، فصار الحكم الأوحد والحاكم الفرد مثلا ومثال لايحتذى.. وصار علامة على العظمة والعزة وصار مجدا مجيدا وبات ملهما زعيما، وصار لايخطئ ولايملك أحد تخطئته وأصبح هناك ما يمكن أن نسميه ظاهرة تأليه الحاكم التى أولدت لنا فراعنة من عبد الناصر إلى من جاء بعده. كلهم فراعنة حسب أوصاف وأشكال مختلفة لكن الفرعنة واحدة. والفرعنة نتيجة وسبب.

نتيجة غياب الديمقراطية واحتكار السلطة وتأليه الحاكم وسبب الهزيمة وغياب الرقابة وانعدام مسئولية الحاكم أمام شعبه مع احترامى مرة أخرى لفكرة التنحى والشهامة السياسية التى انتابت عبد الناصر بعد خراب الديار.

السبب الثالث هو انعدام الشفافية وإعلاء الكتمان، وهو سبب طبيعى وبدهى تماما لأى نكسة أو هزيمة أو انهيار أو انحدار، وهو انعدام مجتمع الشفافية، فالمجتمع كله مغلق مستحكم على المعرفة وعلى النور وعلى الفهم، المجتمع كله متربس ومقفل ومرفوض أى محاولة لمعرفة معلومات، معلومات حقيقية عن البلد، من أول الجيش وإدارته حتى وزارة الخارجية وإدارتها، كل هذا غائم وغائب ومغيب يعنى من قيمة التكتم والكتمان وإكفاء الماجور على الخبر، أى خبر، وعدم وصول أى معلومات صحيحة صحية للناس ومن ثم يتوه المواطن وتعمى عيونه عن الحقيقة كلية وتماما.

هذه أسباب لاتزال ولن تزال - بضم التاء - تدفع وراءها نتائج مذهلة، أسباب هزيمة ونتيجة نكسة.

لهذه الأسباب حدثت نكسة يونيه ١٩٦٧

وللأسف يمكن أن تحدث؟!

■■■

السادات
زعيم سبق
عصره

عزيزى إبراهيم عيسى..

من المؤكد أن عنوان المقال قد أثار دهشتك فكيف أصف السادات بأنه زعيم سابق لعصره وقد اعتقلنى ضمن حمله سبتمبر الشهيرة سنه ١٩٨١ وكنت واحدا من ضمن القوى الوطنية التى تصدت له خاصة فى السنين الأخيرة من حكمه وفى رأيى أن حكم السادات رحمه الله ينقسم إلى قسمين يختلف كل منهما عن الآخر.. الفترة الأولى من بداية حكمة وحتى الانتفاضة الشعبية فى يناير سنة ١٩٧٦، فى هذه المرحلة نرى كثيرا من الإيجابيات وقليلا من السلبيات لأنور السادات.. والمرحلة الثانية بعد قمعه للمظاهرات الشعبية التى قامت ضده والتى سماها بانتفاضة الحرامية وهى ليست كذلك بالطبع بل احتجاج شعبى صادق على غلاء الأسعار.. بعدها تحول إلى ديكتاتور وتوالت القوانين المقيدة للحريات ثم كانت كارثة الصلح المنفرد مع إسرائيل، وأصبح السادات من أنصاف الآلهة، وهى مشكلة كل من يحكم مصر ولم نجد لها حلا حتى الآن، لكن علامات هذا المرض اشتدت فى عصر السادات بسبب الدعاية المكثفة مكافأة من اليهود الذين يسيطرون على أجهزة الإعلام العالمية حتى وجدنا كبير المنافقين فى مصر يقسم أن السادات لو رشح نفسه فى أمريكا فسيفوز على الرئيس الأمريكى نفسه! ومع ذلك فالإنجازات التى حققها أنور السادات فى مرحلته الأولى تجعله بالفعل زعيما تاريخيا فهذه الإيجابيات لم يكن يقدر على تحقيقها إلا السادات فقط.. وأهمها ما يلى:

١ـ طرد الخبراء الروس من مصر فى سنة ١٩٧٢ أيام ما كان الاتحاد السوفيتى القوى العظمى الثانية فى العالم بعد الولايات المتحدة الأمريكية.

٢ـ حرب أكتوبر المجيدة.. صحيح أنه كان نصرا جزئيا إلا أنه رفع رأس العرب عاليا فى العالم كله خاصة بعد دخول سلاح البترول المعركة وظهرت الأمة العربية موحدة ومتحضرة لأول مرة منذ زمن طويل وقامت كثير من الدول بقطع علاقاتهم مع إسرائيل واعتبرت الأمم المتحدة الصهيونية مرادفة للعنصرية.. وهكذا كان للسادات ـ رحمه الله ـ دور سياسى وعسكرى ودبلوماسى فى غاية الأهمية فى هذه المرحلة.

٣ـ الانفتاح الاقتصادى وبدايته منذ سنة ١٩٧٤ فى وقت كانت فيه المنظومة الاشتراكية فى أوج قوتها حتى أن " فيتنام " سقطت فى أيدى الشيوعيين سنة ١٩٧٥ وتلقى الأمريكان لطمة هائلة هناك، ومع ذلك نرى السادات ينادى بالابتعاد عن الخط الاشتراكى الذى ثبت فشله فى التطبيق العلمى.. وبعد أقل من عشرين عاما توالى سقوط الأنظمة الاشتراكية فى العالم كله شرقا وغربا وأثبت السادات أنه كان بعيد النظر وأنه بالفعل زعيم سبق عصره.. وأسارع إلى القول مؤكداً أن الانفتاح الاقتصادى تطبيقه سيىء جدا وبدلا من تحقيق غرضه الأساسى فى رفع مستوى الناس ورجل الشارع العادى نجد أن الفساد قد انتشر وأصبح يضاهى الفساد على الطريقة الاشتراكية، كما عادت الهوة واسعة بين الطبقات.. قلة من المترفين المليونيرات وملايين الملايين من الفقراء.. لكن هل معنى ذلك أن نلغى الانفتاح ونعود من جديد إلى سيطرة الدولة على وسائل الإنتاج وأيام الاتحاد الاشتراكى.. طبعا لا.. الحل واضح.. إصلاح وتطوير الانفتاح الاقتصادى الذى بدأ فى عصر السادات وتشديد الرقابة على المال العام ومطاردة الفساد، مع العلم انه استشرى فى العهد الحالى كما لم يحدث من قبل ويتضاءل فساد

عصـر السـادات إلى جانبـه.. على الأقل يا أخى لم نسـمع فى عهـد الزعيم الراحل عن استغلال أولاد المسئولين لنفوذ آبائهم لشق طريقهم نحو الإثراء غير المشروع.

٤ـ نقل السـادات ـ رحـمـه الله ـ بلادنا مـن نظام المنظومـة الواحـدة إلى عـهـد تعـدد الأحـزاب.. صـحـيح أن هذا النقل على الورق فـقط فـلا يزال الحـزب الوطنى يقـوم بدور الحـزب الأوحد خيـر قيام ومهمة القـوى الوطنية فى مصـر بناء نظام حقيقى متعدد الأحـزاب لكن هذا لا يخسف دور السـادات حتى إذا اعـتبرنـاه نظريا، فلم يكن يقدر على ذلك إلا الرئيس الراحل فقط، عبد الناصـر لم يكن مؤمنا بالطبع بنظام تعدد الأحـزاب. والعهد الحـالى يتمسك بكل مـا ورثه، والحـذر الشـديد يحكمه فى أى تغيير حـقيقى.. السادات فقط كان المؤهل لذلك وهذا أيضا دل على بعد نظره وواجبنا أن يرى نظام تعدد الأحـزاب النور. فى الحـقيـقـة والواقع، ولا نكتفى بما صنعـه السـادات من إقـراره كأمـر نظرى ليس له وجود فعال.

وهناك إيجـابيات أخرى عديدة للسادات ـ رحمـه الله ـ فى فتـرة حكمـه الأولى المليئة بالإنجـازات خـاصـة إطلاق سـراح السـجناء السـيـاسـيـين وإعـادة القـضـاة المفصـولين إلى أعمـالهم ورفع الحراسـات وتعويض المتضررين من الـذين تعرضوا للتأميم دون وجه حق.. وشـهـدت الصـحـافة فتـرة ذهبيـة خـلال هذه الفـتـرة بدأت بعد رفع الرقـابة على الصـحف عقب انتهاء حرب أكتوبر، واستـمرت زهاء أربع سنوات حتى بدأ عصـر موسى صبرى! وعـاد اسم مصـر إليها بعد غياب طويل، وما أجمله من اسم.. مـصـر.. مـصـر.. مـصـر.. افتـقـدنا حقنا فى النطق بهـا لسنوات وسنوات وكان هنـاك فقط بنك مصـر وبيسكو مصـر واسم الجمهورية العربية المتحدة كان ثقيـلا على الآذان والنطق أيضا، صحيح أننى مؤمن بالوحدة العربيـة لكن ما المانع فى الجمع بينها وبين اسم بلادى الخـالد الموجودة منذ أقدم العصور المذكور فى القرآن الكريم ذاته ثلاث مرات.

وفى سبتمبر سنة ١٩٧١ صدر دستور جمهورية مصر العربية كان خطوة إلى الأمام قياسا إلى عصره حيث كان يحكمنا التنظيم الواحد.. لكن فى الوقت الحالى ونحن فى القرن الواحد والعشرين يعتبر غاية فى التخلف وقيدا ثقيلا يحول دون انطلاق بلادى نحو المستقبل..

ومن الإيجابيات الموجودة فى هذا الدستور أنه نص على أن جرائم التعذيب لا تسقط بالتقادم وهو أمر غاية فى الأهمية جدير بأن نشكر نظام السادات عليه.. ورغم أننى دخلت السجن فى عصر الزعيم الراحل إلا أننى أبصم بالعشرة مع غيرى من أبناء مصر على أن أحوال السجون فى عصره كانت أحسن حالا وأفضل من أيام قائد ثورة يوليو أو العهد الحالى وعدد المقبوض عليهم لأسباب سياسية فى عصر السادات أقل بكثير من العهود الأخرى.. فى عصر عبد الناصر والرئيس مبارك تم القبض على عشرات الآلاف وهو ما لم يحدث فى عهد السادات.. ومن مفاخره أيضا أن هؤلاء الذين تم القبض عليهم فى أحداث ١٨و١٩ يناير سنة ١٩٧٧ وكلهم من الوطنيين الشرفاء لم تتم محاكمتهم أمام المحاكم العسكرية كما شهدنا فى المحاكمات الهزلية التى جرت فى عهد سلفه وعصر خلفه..

فى سنة ١٩٧٦ أجرت وزارة ممدوح سالم ـ رحمه الله ـ أنزه انتخابات نيابية منذ قيام الثورة ولم يجر مثلها حتى هذه اللحظة، لكن فى سنة ١٩٧٩ تم حل مجلس الشعب وأجريت انتخابات جديدة أبعد ما تكون عن النزاهة والحيدة بغرض إسقاط النواب الذين عارضوا كامب ديفيد.. وهكذا أخذ السادات فى إضاعة انجازاته الواحدة تلو الأخرى فى فترة حكمه الثانية المشئومة التى تبدأ كما قلت بعد الانتفاضة الشعبية سنة ١٩٧٧، سيادة القانون التى كان يفخر بها تساقطت تحت أقدام قوانين سيئة السمعة أعدها ترزية القوانين الذين باعوا ضمائرهم الخربة للنظام.

واستضاف السادات شاه إيران الذى طرده شعبه ووجود هذا الضيف غير المرغوب فيه على أرضنا كان تحديا للشعب المصرى كله.. لكن الخطيئة الكبرى للزعيم الراحل كان فى الصلح المنفرد مع العدو الصهيونى وتمزيق العلاقات مع العرب وارتمائه فى أحضان أمريكا.. ولأول مرة رأينا من يهتف «لا فلسطين بعد اليوم» ولا شك أن كامب ديفيد جريمة لكن ما فعله السادات لايمكن مقارنته أبدا بما فعله ياسر عرفات بعد ذلك وكان آخرها عندما أعلن موافقته السامية على إعادة التنسيق الأمنى مع إسرائيل بغرض التصدى للإرهاب والمقصود فقط هوالحركات الإسلامية أما بناء حى جديد لليهود فى قلب القدس العربية على جبل أبو غنيم فهو حق تاريخى لبنى إسرائيل ولا علاقة له بالإرهاب!! ومن المؤكد أنه لا يجوز للرئيس ياسر عرفات ـ كلمة الرئيس يحرص عليها ـ ولا لزمرته أو الذين ساروا على دربه من أمثال لطفى الخولى بانتقاد الرئيس السادات أو اتهامه بالخيانة فقد سبقوه فى الهرولة نحو بنى إسرائيل بأشواط طويلة وصلت إلى حد التنسيق الأمنى بين الأجهزة الأمنية والمخابرات الفلسطينية والإسرائيلية، وهو أمر لم يكن أحد يتخيله ولا فى الأحلام.

وأعود من جديد لأوضاعنا الداخلية وأقول: فى أواخر عهد السادات كانت الأحوال قد تدهورت بشكل لم يسبق له مثيل.. تأليه الزعيم بلغ أوجه.. فساد حكمه زكم الأنوف.. قطيعة تامة مع العرب فى الخارج ومع القوى التى وقفت إلى جانبه على الدوام فى الداخل خاصة الاتجاه الليبرالى ممثلا فى حزب الوفد الذى لم يستطع الرئيس الصبر عليه أكثر من ثلاثة أشهر وكذلك الاتجاه الإسلامى الذى تصدى بقوة لمعاهدة الصلح مع العدو الصهيونى واستضافة شاه إيران، واتجاه نظام الحكم نحو الديكتاتورية.. ولا يمكن وأنا أحاول تقييم حكم السادات إغفال الرد على القول بأنه قام بتشجيع قيام الجماعات الإسلامية للتصدى للشيوعيين والناصريين خاصة فى الجامعات.

وفى يقينى أن هذا تكرر كثيرا حتى صدقه البعض!! محاولة فاشلة من جانب أعداء التيار الإسلامى لإخفاء خيبتهم فى مواجهة المتدينين خاصة الإخوان الذين نجحوا فى سحب البساط من تحت أقدام القوى المنافسة لهم بالشارع المصرى فقد التفت أغلبية كبيرة من الشباب والطلاب حول التيار الإسلامى الصاعد وانصرفوا بعيدا عن الشعارات الاشتراكية وكان الزعم بتشجيع السادات للتيار الإسلامى هو الشماعة المناسبة لإخفاء الهزيمة وتبرير قوة التيار الإسلامى ومن جانب المنافسين لهم.. وأشرح ذلك بمزيد من الوضوح فى نقاط محددة:

١- قدم الرئيس السادات ـ رحمه الله ـ خدمة جليلة لمصر والإسلام عندما نص فى الدستور الذى أصدره سنه ١٩٧١ بأن الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع والتأكيد على هوية مصر الإسلامية وأن دينها الرسمى هو الإسلام.

٢- كان هناك تعطش شديد بعد هزيمة سنه ١٩٦٧ للعودة من جديد إلى تعاليم الدين وإعادة النظر فى كثير من الشعارات الاشتراكية، ولذا وجد التيار الإسلامى الصاعد أرضا خصبة للانتشار خاصة بين الشباب الذين صدمتهم الهزيمة المروعة وانتصار بنى إسرائيل الساحق على الأنظمة والتقدمية كما كانت تصف نفسها.

٣- بلغت قوة الإيمان ذروتها فى حرب أكتوبر المجيدة عندما عبر جيشنا الباسل القناة تحت شعار الله أكبر، وكان من الطبيعى أن يتصاعد المد الإيمانى بعده.

٤- الفترة منذ سنة ١٩٧١ وحتى الانتفاضة الشعبية سنة ١٩٧٧ كانت فيها حرية واسعة فى الجامعات لم نشهد مثلها حتى هذه اللحظة وقد استغلها التيار الإسلامى أحسن استغلال بعد غياب طويل عن الساحة السياسية قصرا فى عهد عبد الناصر وكان ضحيته الأولى.

٥- «إذا كان بيتك من زجاج فلا تقذف غيرك بالحجارة».. هذه حكمة سليمة أهديها إلى اليساريين، فالرئيس السادات هو الذى أنشأ حزب التجمع بتقسيمه الشهير للعمل السياسى إلى وسط ويمين ويسار.. والسؤال الذى يطرح نفسه فى هذا المقام: لماذا لم ينجح حزب التجمع الذى صدر بضوء أخضر من الرئيس فى اجتذاب الشارع المصرى كما نجح التيار الإسلامى الذى قام الرئيس الراحل بتشجيعه على حد زعمهم.

٦ - وأخيرا فإن «الإخوان المسلمون» والتيار الإسلامى عامة يتعرضون لحرب ضروس من الدولة فى الوقت الحالى ومع ذلك تجد وجوده مؤثرا فى الشارع المصرى حتى أن الحزب الحاكم أوشك على إلغاء النقابات المهنية كلها بسبب ذلك وجعل الانتخابات النيابية والطلابية لا قيمة لها بتداخله الفاضح وتزويره السافر وكل ذلك فى محاولة للحد من نفوذ التيار الإسلامى أساسا فمن أين يستمد هؤلاء قوتهم؟ هل من السادات وهو فى قبره؟

أخيرا : ما أريك فيما قلته هل توافق عليه أم تختلف معى وترى عهد السادات كله نكبة على مصر دون تفرقة بين بدايته ونهايته.

السادات ابن عصره

صديقى العزيز محمد عبد القدوس..

يغرم البعض بالكلام عن الزعماء السياسيين ووصفهم بصفات من قبيل الخائن،العميل،البطل، سابق عصره،قائد ملهم، الزعيم الخالد.. وهى كلها صفات قاطعة نهائية تحمل جملة الآراء ومحصلة الرؤى فى هذا الزعيم السياسى.

لكن غراما من هذا النوع لم يصبنى حتى الآن ومن ثم فإننى أحاول التحرر من الأحكام النهائية القاطعة وأتمسك بالحكم القطاعى على تصرفات وسياسات بالجملة ومن هنا أتكلم عن السادات.

والسادات من الشخصيات التى تجر وراءها حالة من الغضب الممزوج بالشبق فى كراهيته أو الهيام الجنوح بحبه، وفى كل الأحوال تتنازع الرجل هذه المشاعر من هؤلاء وهؤلاء حتى تكاد تفقد الرؤية تجاهه فلا تعرف من هو، هل هو هذا الشيطان السياسى المكروه المذموم أم هو هذا الملاك الطاهر الذيل السابق لعصره؟

ومن أشد الأمور غرابة أن تجد من يريد التعامل مع السادات على نحو التعامل مع شخص قابل لقراءة دون وجهة نظر مسبقة وإذا كانت نقطة البدء أننا الآن فى ذكرى حركة مايو فإنى أزعم أنها لم تكن حركة ولا ثورة ولا ينطبق عليها ما ينطبق على الحركات السياسية بالغة الأهمية جذرية الأثر ولا ينطبق عليها ما هو مطلوب فى الثورات كى تصبح ثورة وأن هذه الأسماء ما هى إلا أسماء سميتموها كجهاز إعلامى طاحن التأثير فى الرأى العام بغرض نفاق أنور السادات وعهده وعهدته من الرجال والحواريين ولما انتهى الرجل انتهت زفة الاحتفالات المقيتة بهذه المناسبة التى لا تعدو أن تكون صراعا على السلطة حتى أن ما قيل حول القضاء على مراكز القوى وهى أضعف ما قيل نفاقا فى السادات أغفل أمرا مهما، وهو أن السادات كان كذلك مركزا للسلطة وللقوة فى ذلك العهد بل وكان بحكم منصبه رئيسا للجمهورية بعدما كان نائبا وكان واحدا من خمسة على ما أتذكر ممن أناط بهم عبد الناصر إدارة شئون البلد فى حالة مرضه وأن الأمر كله انتهى إلى صراع على السلطة حيث كسب مركز قوى (وهو السادات) مراكز قوى أخرى (هم باقى المجموعة) فالحاصل ـ والحال هكذا ـ أن مركزا للقوى انتصر على باقى المراكز ولم يحدث أن قضى على مراكز القوى إطلاقا بل ظهرت مراكز قوى أخرى أكثر أثراً وأهمية منها السيدة جيهان السادات (ولى أن أسجل إعجابى بها دائما) والنبوى إسماعيل وعثمان أحمد عثمان..فأى مراكز قوى تلك التى يتحدثون عنها؟

أما إذا عدنا إلى الصراع على السلطة أثناء مايو ١٩٧١ فلو كنت حاضرا ومؤثرا وقتها ـ وهو افتراض خيالى بحت ـ لكنت قد اتخذت موقف الأستاذ محمد حسنين هيكل أى كنت أتضامن مع السادات فهو (وكل الأمور صارت بعيدة إلى الحد الذى نستطيع معه الرؤية ببصيرة) أقل فاشية وعنفا وضراوة وعسكرية من هذه المجموعة التى أطيح بها فى مايو ١٩٧١ بل ولعله أكثر سياسة وحنكة وذكاء منهم جميعا وهو ما أبانته الأيام بعد ذلك كما كانوا جميعا شخصيات مولودة فى السلطة معقمة بالنفوذ ومحمية بالسلطان ولم تكن قريبة من الناس ولا الشعب ولا المجتمع ولا حتى التنظيمات السياسية وكانوا فاقدى الجذور بالأمة، الأمر الذى جعل من رحيلهم شيئا سهلا عابرا بلا دموع (!!) الذى يقول إن حركة مايو جاءت انتصارا للديمقراطية فالحقيقة يشبه إيمان الثعلب بسور الجنينة حيث يدرك أنه فى أية لحظة يمكن أن يتسلق السور ويعبر لفريسته بل إن سور الجنينة حماية وهمية للدجاج حتى يأنس ويطمئن غزو الثعالب (..) لم يكن السادات مؤمنا بالديمقراطية فى يوم من الأيام.

كان مؤمنا بالسلطة.

وحسبما كانت السلطة تملى كان يملى عليه ويكتب.

والسادات كان ـ حتى مقتله ـ على قناعة راسخة بأنه فرعون يحكم مصر كما يحكمها الفراعنة ولم يخف على أحد أنه كان يعتبر نفسه وجمال عبد الناصر آخر الفراعنة(!!)

وكان السادات فى الحقيقة امتدادا لكل موروث ثورة يوليو فى الحكم الشمولى والقرار الفردى والجنون بالذات والسلطة وجو التآمر والقرارات الكاكية الكابية وغياب الشعب والرأى العام وافتقاد حرية التعبير وحرية التغيير.لقد كان السادات يتعامل مع

الديمقراطية كأنها منحة عيد العمال يصرخ الجمهور فى القاعة المنحةياريس فيعطيهم رئيسهم المنحة!! وليس هناك دليل على عدم إيمان السادات بالديمقراطية قدر دليل واحد هو أنه كان يتراجع عنها بمزاجه وقتما شاء شوية معاها وشوية ضدها وشوية ديمقراطية غربية وشوية ديمقراطية بأنياب ومخالب.

إن شغل الحواة السياسيين كان أقرب إلى روح منهج السادات فى التعامل مع الديمقراطية وهى مجرد شكل وديكور لا ينم فى تصرفاته على أنه يحترمها أو يبجلها أو يقدسها ولم يختلف فى ذلك عن سلفه الراحل جمال عبد الناصر إلا فى بعض المبررات الزلقة اللزجة عن غياب الديمقراطية بشكلها الواقعى المباشر الذى تعرفه من حرية فى الترشيح فى كل المناصب بداية من منصب رئيس الجمهورية وحتى أصغر عضو مجلس محلى ونزاهة التصويت وغياب التزوير والتزييف لإرادة الأمة.

لا حصل أيام عبد الناصر ولا حصل أيام السادات ولا حصل بعدها ومن ثم فمع اختلافات نسبية ضئيلة فالحال هو نفسه لا يختلف من جيل حكام ثورة يوليو ونظامها إطلاقا ولا يمكن أن يكون الرجل (السادات) ديمقراطيا وهو يقوم بانتخابات ٧٦ شبه النزيهة ويكون هو نفسه الرجل الذى يزور الانتخابات فى ١٩٧٩، إنه أحد أمرين إما أنه شغل حواة أو ازدواج فى الشخصية السياسية لكنه فى النهاية تعبير عن فقدان روح الديمقراطية تماما.

صحيح أن تعديلا طفيفا فى ديكور الديمقراطية قد تم أيام السادات، يشبه نقل الأنتريه ووضعه مكان الصالون أو أوضة السفرة صحيح أنه كان حريصا على الشكل الأمريكى أو الإنجليزى فى الديمقراطية لكنه لم يكن صادقا ولا مؤمنا بذلك.

ولم يتسع صدره لذلك.

ولم يصبر على ذلك.

فنفسه كله.

لم نعهد إذن فى أية حقبة مرت وعبرت على رقبتنا فى مصر احتراما للديمقراطية أو تعاملا بها، كذلك لم نعدم منهج الفساد (..) لكن يبقى هنا أنه كان أخف وطأة وأقل حدوثا وأضيق تأثيرا فى فترة عبد الناصر ربما بسبب قلة الثروة وطهارة عبد الناصر الشخصية وإن لم يعدم ذلك من الاستيلاء على ثروات الأمراء والحراسات والقصور والبيوت والأراضى والمصاهرة مع الإقطاع وسرقة مجوهرات أسرة محمد على وما إلى ذلك.لكن المدهش الذى أريد أن أقوله هنا لأدهش نفسى قبل أى أحد آخر أن الفساد ليس بقدر المال المسروق ولا تقدير الثروات المنهوبة هنا بالملاليم أو بالملايين أو بالمليارات. المنهج هنا هو الخطأ هو الفساد ذاته.. الفساد ليس استغلال نفوذ من أجل ألف جنيه أو مليار بل الفساد هو استغلال النفوذ

هو التربح.

وهو الإثراء غير المشروع.

هو نهب المال العام.

هو غياب الحسيب والرقيب.

هو إفلات اللصوص من العقاب.

هو حماية لصوص المال العام.

هو قسمة الثروة المنهوبة.

هو اعتبار الشعب غائبا وماله العام سائبا.

الفساد هو إنكار وجود الفساد والتعمية عليه والسكوت عنه هذا هو الفساد.. تتزايد أرقامه وتصيبنا بالتفجع لكن فى النهاية هو الفساد هو بذرة مت وترعرعت وأثمرت، أنا أتحدث عن البذرة والتربة ولا يهمنى كثرة الحصول من قلته(!!).

نأتى إلى صناعة التيار الدينى التى قام بها السادات والتى يقال إنها غير حقيقية، وأن ما يروج تلك المقولة إنما يدارى فشل اليسار فى استثمار المناخ الديمقراطى الذى منحه السادات للجميع ونجح فيه التيار الإسلامى (!!) والمشكلة أن مغالطات كثيرة تملأ سطورا قليلة هنا أهمها:

١ - ليس صحيحا أن اليسار فشل إطلاقا، فمن إذن الذى فجر مظاهرات يناير ٧٢ التى كانت حافزا فعليا على حرب أكتوبر ومن هم الكتاب والصحفيون الذين كانوا وراء إصدار بيانات ضج بها الحكم والسادات شخصيا إلى الحد الذى اعتقل منهم من اعتقل وطرد من طرد!! (آه بالمناسبة أين الديمقراطية هنا) وقد استمر نجاح اليسار حتى ١٩٧٧ ومظاهرات الجوع والانتفاضة الشعبية ثم امتد حتى الوقوف ضد التطبيع وشل الهجمة الصهيونية لدمج مصر فى المشروع الأمريكى الإسرائيلى، كان نجاحا سياسيا باهرا أدى إلى رمى اليسار كله رجاله كباره وصغاره فى السجن والمعتقلات فى سبتمبر ١٩٨١.

٢ - إن السادات صنع التيار الدينى صناعة على عينة شهادات التاريخ والجغرافيا وحساب المثلثات، كل هذا يثبت أن التيار الدينى فتحت له كل الأبواب عمدا وأغدق عليه بالأموال الهادرة.. وكمال أدهم وعثمان أحمد عثمان ليسا ببعيدين.. وغيرهما عشرات والشهادات تملأ كل مكان ولا مبرر لإنكار يبدو طيبا مغرقا فى الطيبة وتجاهل الحقيقة.

٣ - لا شأن لى نجح حزب التجمع الذى صدر بإشارة ضوء أخضر من السادات أو لم

ينجح، ونجح حزب العمل الذى نشأ برعاية السادات أو لم ينجح، فالأحزاب كلها وهمية. وإذا كان للسادات أنه سمح بحرية تكوين الأحزاب فهو أيضا الذى منع تكوين أحزاب تقف ضد كامب ديفيد أو المعاهدة المصرية الإسرائيلية، وكان هو من وضع الأحزاب وعطلها وهو أيضا- فى الحقيقة _ الذى بلانا بهذه الأحزاب الهامشية الورقية التافهة التى أضرت بالديمقراطية وأنعشت الفساد أكثر مما عضدت الديمقراطية وواجهت الفساد.

يبقى أمر أخير تفصيلة صغيرة لا أحب أن أفوتها وهى طرد الخبراء السوفييت الذى يعتبره البعض نصرا للسادات.. والعجيب أنهم يغفلون من عمد أن السادات هو الذى وقع معاهدة الصداقة بين مصر والسوفيت (!!) ويغفلون عن عمد أن الخبراء الروس لم يطردوا كلهم بل بقى منهم فى الجيش المصرى من شارك فى حرب أكتوبر كما شاركوا قبلها فى حرب الاستنزاف وحرام أن نتعامل مع الخبراء وعلماء ومهندسين وفنيين على اعتبار أنهم ذوو عقيدة سياسية وليس باعتبارهم خبراء كانوا ينشرون العلم والمعمل والخبرة والتقنية(!!) إنها نفس المشكلة التى ستجعل بعض المتعصبين المتطرفين يرفضون الخبراء الفرنسيين فى مترو الأنفاق لأنهم مسيحيون(!!) أو الخبراء الألمان فى محطات الكهرباء لأنهم نصارى.. إن هذا الخلط وتلك الرؤية الضيقة قد تعصف بنا جميعاً فى يوم من الأيام.

عزيزى الصديق الكبير محمد عبد القدوس : لم يكن السادات سابقا لعصره بل كان ابنا لعصره ولنظامه وثورة يوليو وأسلوب حكمه وطريقة إدارتها للبلد.. كان وجها آخر من العملة لكنه ـ رحمه الله ـ كان لطيفا وخفيف الظل أيضا وسياسيا داهية مثيرا وثريا فى شخصيته وهى أشياء قد تبرر له بعض ما فعل ولكن لا تغفر له كثيرا مما فعل.

■■■

الحرية قبل تطبيق الشريعة

صديقى العزيز إبراهيم عيسى..

تعال يا صديقى نتساءل : هل «الإخوان المسلمون» ما زالوا جماعة إرهابية كما يذهب إلى ذلك أعداؤها والكارهون لها؟ الإجابة غاية فى الأهميـة.. لأنها لو كانت قد قامت بتطليق قبضة العنف لأصبح من الواجب الترحيب بها فى مجال العمل السياسى، أما لو ثبت أنها تسعى إلى قلب نظام الحكم بالقوة فإنه من الضرورى التصدى لها بكل قوة. وأعتقد أنك تعلم إجابتى من عنوان الموضوع، فالإخوان يرفضون العنف واستخدام السلاح، وقد قاموا بتطليق الإرهاب طلقة بائنة.. والدليل القاطع الذى أستند إليه هو القضاء المصرى، فمنذ أن عاد الإخوان إلى ممارسة نشاطهم لم تقم المحاكم بإدانة أى واحد منهم بتهمة الإرهاب. ولا واحد منذ أكثر من ربع قرن من الزمان.. دليل واضح على البراءة.. وحتى المحاكم العسكرية ذاتها التى مثل الإخوان أمامها لم تقم بإدانتهم باستخدام السلاح أو العنف، وجهت إليهم فقط الاتهام بالعمل على إحياء جماعة «الإخوان المسلمون» وهى تهمة عجيبة لأن هذه الجماعة موجودة بالفعل على الساحة. ولها شعبية ملحوظة برغم كل الضربات البوليسية التى انهالت عليها فى كل العصور.

ومنذ عهد الرئيس مبارك شارك «الإخوان المسلمون» على نطاق واسع فى العمل السياسى سواء انتخابات مجلس الشعب والنقابات المختلفة والجامعات، ومن هذه الممارسة يتضح لنا أن هناك ثلاث فئات تحديدا هى التى تعادى توسيع نطاق الحريات

وهامش الحـريات فى بـلادنا ليس مـن بينهم «الإخـوان المسلمـو ن» أولا: الحـزب الحـاكم نفسـه الذى قام بهدم الديمقـراطية على رؤوس أصـحابهـا بسبب منـافسة الإخوان لهم فى الانتـخـابات المختلفة وبدلا من التـرحيب بكبرى الجمـاعـات الإسـلامية فى مـجـال العمل السياسى قام حـزب الحكومة بمطاردتهم وأسـاء إلى الديمقراطية ذاتها أبلغ إسـاءة بتزوير الانتخابات وتأميم النقابات.. والسبب يتلخص فى كلمة واحدة مكونة من سـتة حروف أو ثمانيـة إذا أضفت الألف واللام " المنافسة " فالحـزب الوطنى وريث الاتحـاد الاشـتـراكى ويفكر بذات عـقليتـه وهو لا يبطش بـ«الإخوان المسلمون» لأنه يراهم خطرا علـى البلد بل على كـرسى الحكم ولو شكل حـزب الوفـد أو التـجـمع أو النـاصـرى خـطورة على الحـزب الحـاكم واسـتطـاع جـمع النـاس حوله واكـتسـح الانتـخـابات المهنيـة والجـامـعـات لنال ذات المعاملة التى يلقاها الإخوان من حـزب الاتحاد الاشتراكى ولأصبح الوفد أو التجمع متهما هو الآخر بالإهارب.

ثانيـاً: الفئة الثـانية التى تعـادى الديمـقراطيـة فى بلادنا هـى بعض الجـمـاعات المنتمية إلى التيـار الإسـلامى للأسـف، فهى ترفض نظام تعدد الأحزاب جملة وتفصيلا تراه كفراً. وليس هناك فى تصـورها إلا حـزبان فـقط حـزب الله وحـزب الشـيطان، ولا شك أن قـانون الطوارئ والبطش بالتيـار الإسـلامـى كله يؤدى إلى نمو هذا التـيـار المتطرف بين الشـبـاب خاصة مادام باب الديمقراطية مغلقا فى وجه المتدينين.

وتفكير «الإخوان المسلمون» مختلف كلية عن عقلية هذه الجماعات، وأرى الإخوان وقد عـاصـرتهم عن قـرب يرفـضـون الديكتـاتوريـة التى اكتـووا بنارها وهم أول ضـحـاياها، وقـد تعلمـوا الكثيـر من تجـاربهم المـريرة لا فـارق عـندهم بين ديكتـاتور حـاكم مـدى حـيـاته أو ديكتـاتورية عـسكرية، أو حتى ديكتـاتورية باسـم الدين تفـرض تعـاليم الإسـلام فـرضـا على

الناس بالكرباج ومن يتابع عن قرب خطاب الإخوان السياسى دون تحيز - خاصة فى السنوات الأخيرة - أن الحرية تحتل المقام الأول عندهم فهم يكثرون من الحديث عنها والمطالبة بها ويعطون لها أهمية تفوق مطالبتهم للدولة بالعمل على تطبيق الشريعة وهذا عين العقل والحكمة لأنه إذا كانت هناك حريات حقيقة فسيؤدى ذلك تلقائيا إلى تطبيق الشريعة بطريقة تناسب العصر كأفضل ما تكون لأن الشعب المصرى فى غالبيته الساحقة متدين يحب الإسلام بفطرته ويريد تطبيق شرع الله فى الأرض بشرط الابتعاد عن التزمت والإكراه فى الدين.

ولكن العكس غير صحيح.. أقصد أن تطبيق الشريعة فى غياب الحريات يمكن أن يكون وبالا على بلادنا.. فالحرية تؤدى إلى النضج والتسامح، أما غيابها فيؤدى إلى التزمت وضيق الأفق وعندما نطبق شرع الله فى غياب الحريات إنما نقدم هدية مجانية لأعداء الإسلام للتشهير بنا.

ثالثاً: وهنا نأتى إلى الفئة الثالثة من أعداء الحريات فى بلادنا وهم يتمثلون فى فئة المثقفين خاصة الذين يتشدقون بالديمقراطية دون أن تتطابق أقوالهم مع أفعالهم.. يصمتون وهم يرون البطش بالتيار الإسلامى بل يشجعون الدولة على ذلك، وفى رأيهم أنه لابد من فصل الدين عن السياسة وبالتالى فلا مكان للتيار الإسلامى فى الممارسة الديمقراطية، وهم يعتقدون أن «الإخوان المسلمون» خاصة يتخذون من الكلام عن الحريات للوصول إلى الحكم والقفز إلى السلطة ولو نجحوا فى خطتهم فسيعمل الحكام الجدد - الإخوان - على إلغاء الحكم المدنى وحل الأحزاب السياسة، فالتيار الإسلامى كله من وجهة نظرهم لا يؤمن بالتعددية الحزبية ولا بتداول السلطة لا فارق بين جماعة الإخوان أو أنصار الجهاد فالكل فى النهاية واحد.. لكننى أتساءل: لماذا لا تشمل هذه

المخاوف القوى السياسية الأخرى؟ وهل أصبح الشيوعيون مثلا على آخر الزمن هم حراس الديمقراطية؟ وهل تستطيع أن تأمن جانبهم إذا وصلوا إلى السلطة فى المحافظة على الحريات العامة؟ أم أن هذا السؤال غير مطروح أصلا لأن الشيوعية كلها انهارت وأصبحت فى خبر كان وتتركز جهودها حاليا فى المحافظة على ما تبقى من كيانها، وماذا عن الناصريين؟ هل أنت واثق أنهم إذا فازوا بالأغلبية فلن يعيدوا عقارب الساعة إلى الوراء بشعارات الاتحاد الاشتراكى؟؟ ولا أريد الاستطراد فى مناقشة المتخوفين من العلمانيين.. لكننى أقول لهم تعالوا إلى كلمة سواء تقوم على رفض العنف وتداول السلطة وإقامة مجتمع مدنى لا مكان فيه للعلمانية أو الدولة الدينية.

والنقطة الأخيرة بالذات تحتاج إلى شرح وأراها نتاجا لما سبق من أن نكون يدا واحدة ضد الإرهاب المسلح واستخدام القوة لقلب نظام الحكم وكذلك الحرص على تداول السلطة فلا نحكم بالطريقة التى تدار بها الأمور فى بلادنا حاليا بل إننى من أنصار تحديد مدة رئاسة الجمهورية بفترتين كما نص على ذلك دستور ١٩٧١ قبل تعديله لمصلحة السادات ومن بعده النظام الحالى.

والمقصود بالمجتمع المدنى هوالسماح لكافة القوى السياسية بالمشاركة فى بنائه مهما كانت انتماءاتها مادامت ترفض العنف وهذا يقتضى من التيار الإسلامى رفض فكرة الدولة الدينية، والسعى لتطبيق شرع الله من خلال مجتمع إسلامى مدنى.. والفارق بينهما كبير.. الدولة الدينية تعنى أنه لا مكان لغير المتدينين فهم وحدهم يحتكرون العمل السياسى، والمجتمع الإسلامى المدنى يعنى أن كل القوى السياسية على قدم المساواة ومن خلال المنافسة الحرة ينجح التيار الإسلامى فى جذب أصوات الناخبين والفوز فى الانتخابات وبالتالى تنفيذ برنامجه الذى يقوم على تطبيق شرع الله فى مجالات الحياة المختلفة فلتكن منافسة شريفة مع الحزب الحاكم وأهلا وسهلا بالوفد وحزب التجمع

والناصرى بل والشيوعيين فى انتخابات حرة، وإذا فاز هؤلاء على أبناء التيار الإسلامى فلن ألقى باللوم على الشعب الذى انتخبهم بل أبحث عن نقاط ضعفى وأسباب الخيبة والهزيمة وأستعد للجولة القادمة.. ومن ناحية أخرى فالمجتمع المدنى فى مصر يستبعد طرح فكرة فصل الدين عن الدولة لأنه يعنى نفى قوة أساسية فى المجتمع تتمثل فى التيار الإسلامى، فضلا عن تعارضه مع الدستور المصرى ذاته الذى ينص على أن مبادئ الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع، وأن دين الدولة الرسمى الإسلام وشعب مصر لن يقبل بالتأكيد أن تكون بلادنا " تركيا أخرى " وقد جر عليها التنكر للإسلام واللهث فى ذيل أوروبا أزمة فى الهوية القومية ذاتها.. ليس من حق العلمانى القول : المتدين مكانه المسجد ولا مكان للشريعة الإسلامية، ولا يجوز لأنصار التيار الإسلامى منع العلمانيين من التعبير عن أنفسهم.

أخى إبراهيم عيسى.. هل تتفق أو تختلف معى فيما أعلنته، وما رأيك فيما طرحته من مبادئ ثلاثة تقوم على رفض العنف والحرص على تداول السلطة وإقامة مجتمع مدنى يستوعب كافة القوى السياسية فى بلادنا؟ أليست تصلح أرضية مشتركة لكى نعمل معا جميعا فى ظل ثوابت تجمعنا؟

الحرية هى الحل

عزيزى وصديقى محمد عبد القدوس..

لا أعرف يا صديقى هل أنت تمثل جماعة «الإخوان المسلمون» حقا أم لا، اسمح لى بهذا التشكك وليس التشكيك، فآراؤك إذا حملناها على أنها آراء الإخوان فإذا بنا لسنا أمام «الإخوان المسلمون» فى شىء بل أمام فريق سياسى آخر خرج من جلده أو ارتدى جلدا على جلده لا نعلم أيهما الحقيقى الأصيل وأيهما الزائل الراحل.

اسمح لى..

ليست جماعة الإخوان بهذه السماحة ولا الحلاوة ولا الطعامة السياسة التى تحاول أن تقدمها لنا وتسوقها عن الإخوان وإذا كان أحد المنتمين لها وهو أنت على هذا القدر من الاحترام البالغ للإخوان فهذا حقك - وربما طبقا لالتزامك - واجبك كذلك، لكن المشكلة أن الانتماء لفكرة وعقيدة أو حزب أو جماعة يجعل المنتمى إليها على هذه الدرجة من الاعتقاد الراسخ الخاطئ بصحتها وبكمالها وبنورها وبهائها وهى ليست كذلك فى الحقيقة.

دافع عن الإخوان كما شئت لكن الإخوان لا يدافعون عن أنفسهم ولا يدفعون الاتهامات عنهم إلا بالكلام والكلام الكثير وهم فى الحقيقة أساتذة فيه حتى تفلت منهم كلمة أو تندلق منهم آراء فتتضح أكثر مما تستر وتكشف أكثر مما تخفى.. وتصريحات مصطفى مشهور المرشد العام للإخوان عن تخوين الأقباط وعدم دخولهم الجيش دفاعا عن الوطن ليست بعيدة واعتذاره " الكلامى " وليس العملى ليس ببعيد أيضا.

المهم.. تقول إن الاخوان يدافعون عن الديمقراطية ويطالبون بها، وصحيح فعلا أننا نسمع هذا الكلام من الإخوان لكن. أهو كلام؟

الإخوان نفسها جماعة غير ديمقراطية تقوم فى ذلك نفس سقام الأحزاب السياسية الموجودة فى بلدنا، بل هى شأن الحزب الحاكم نفسه الذى تنتقده بحدة لأنه ضد الديمقراطية وهذا صحيح وحق.

تعال أقول لك.. هل الإخوان يجرون انتخابات لقواعدهم وكوادرهم.. بلاش هذا إطلاقا، إن مرشد الإخوان مرشد مدى الحياة، فضلا عن أنه كالعادة من كبار السن والأجيال العتيدة القديمة غير المتحركة، وغير الحديثة وغير المواكبة للعصر، فهو أيضا

مدى الحياة، واسمح لى لا يوجد من يحترم نفسه فى الوجود يضع أحدا فى منصب مدى حياته، فهذا ضد الديمقراطية وأبسط قواعد الحرية والاختيار ثم افتقاد للحساب والمحاسبة والعقاب كذلك.

أى ديمقراطية تلك التى يريد الإخوان تطبيقها وهم أبعد الناس عنها، يكفى مثالان الأول طريقة إدارة النقابات التى استولى عليها الإخوان بالديمقراطية فإذا بهم ينقلبون ضد الديمقراطية فى احتكار وديكتاتورية ونفى للآخر تام ومطلق، بل وكم من الفساد المالى والإدارى أدى إلى ما أدى إليه ونقابة المحامين نموذج حى على هذه الأساليب غير الديمقراطية التى انتهجها الإخوان.

ثم المثال الآخر البائن الكامل هو موقف الإخوان من محاولة إنشاء حزب الوسط عبر فريق منهم، فإذا بانقلاب الإخوان عليه وضغوطهم على أعصابه وأنصاره وموكليه إلى الحد الذى انسحب عقبه كثيرون وأطاحوا بفكرة إنشاء حزب بمجرد أنه يمثل جيلا جديدا ولمجرد أنه قرر أن يدخل اللعبة الديمقراطية كما قال ولمجرد أنه كان سيمثل استنزافا لقوة تحكمهم وأحكامهم على أنصارهم.

أليست هذه نماذج وأمثلة وأدلة سريعة عاجلة لخيانة الإخوان للديمقراطية التى تزعم يا صديقى أنهم يدافعون عنها، ثم تتحدث عن موقفهم من الحرية والدولة الدينية؟ والحقيقة أن الإخوان هم الذين اخترعوا الدولة الدينية وفكرتها ومحاولة تنفيذها ولن أذهب للتاريخ لأنه من الواضح أنك لا تحب التاريخ خصوصا أن بعضا منه كثير أسود . ولنأت إلى آخر شعارات الإخوان وهو شعار «الإسلام هو الحل»، ألم يكن هذا الشعار وهو عينه شعار الدولة الدينية التى لا ترى ولم تر سوى الدين كقيامة الدولة؟ أليس هذا شعارا دينيا خالصا مقصودا منه استنفار الدين فى مواجهة الدولة؟ وهو شعار ليس وراءه ولا أمامه إلا إقامة دولة دينية وإلا فما معنى الإسلام هو الحل؟ حل إيه ومين؟ أو فين؟

كان المقصود منه ولا يزال هو تطبيق الدين فى السياسة ودمجه فى النظام السياسى وهو ما ينتهى إلى دولة دينية يحكمها الشيوخ وتسيطر عليها الفتاوى ويديرها الفقهاء. وليست هذه فى دولة المجتمع المدنى الحر الذى تحكى عنه وتتغنى به، بل هذا هو مجتمع السيطرة والتحكم الدينى فى مصائر السياسة، وهذا ليس فى المدنية من شىء. دولة مدنية أى تلعب فيها السياسة كل الأدوار، أما الدين ورجال الدين ومشايخ الفقه فهم يديرون الدين وشئونه وشجونه لا دخل لهم بعقد المعاهدات ولا نقضها ولا شأن لهم بإعلان الحروب أو هدنتها ولا شأن لهم بالعلاوات والضرائب والبرلمان والصحافة .

دولة مدنية أى يديرها المواطنون والشعب عبر انتخابات حرة نزيهة ومن خلال مدنيين وليسوا شيوخا ولا أئمة، والأئمة فى المساجد وليس فى مقاعد الحكم يا عزيزى.

ثم تتحدث عن أن الحرية قبل تطبيق الشريعة وهو شعار رائع مذهل فى جماله ونوره ولكن لا أظن أن هناك اثنين من الإخوان يوافقانك عليه وأتمنى وأدعو من كل قلبى أن يخرج إخوانى واحد ليقول لى أنا موافق على ما يقوله محمد عبد القدوس.. يا جماعة إن تطبيق الشريعة مؤجل على الحرية و إن الحرية للسياسية مقدمة على الشريعة.

عموما كيف يتأتى هذا مع أفكار الإخوان ومسعاهم وسعيهم إلا إذا كانت هناك نقلة جديدة تاريخية لم نسمع عنها فى تاريخ الإخوان الحديث..

التاريخ الذى بدأ بشعار الإخوان «المصحف والسيف» وهذا ليس فيه حرية ولا ديمقراطية، ليس فيه إلا ما فعله أتباع معاوية بن أبى سفيان حين رفعوا المصاحف طلبا للتحكيم فإذا بالمصحف أمامنا كأن الإخوان أخرجوه لنا كى يحكم بيننا وبينهم مع أنه قرآن حمال أوجه والمصاحف كما قال سيدنا على بن أبى طالب لا تنطق وإنما ينطق الرجال، ويضع لنا الإخوان السيف كأنه قتال ودمار وهلاك ونار أمامنا، كأن العنف هو

شعارهم وهدفهم، العنف ضد من؟ هذا هو السؤال؟ والعنف إلى متى؟ هذا هو السؤال؟ وأسئلة أخرى تترى لا إجابة لها.. إننى أدعو الإخوان إذا أرادوا أن يصدقوا إلى مراجعة شعارهم ومراجعة هتافهم شعار «المصحف والسيف» وهتاف «الإسلام هو الحل»؟

إن المنظمات والجماعات والأحزاب حين تتراجع عن أفكارها تعلن ذلك وتناقشه علنا وتطرحه على الناس، أما الكلام الطيب المتعجل عن الحرية وموقف الإخوان منها فهو كلام طيب ومتعجل لكن ليس أبعد من ذلك ولا أهم من ذلك.

وبالمناسبة، إذا كان الإخوان يعلنون دوما تبرأهم من عنف وتطرف الجماعات الإسلامية الأخرى، فإن لى سؤالا ملحا يلح حتى السخف على رأسى دائما، وهو: إذا كان الإخوان قد فشلوا فى أن يكونوا نموذجا دينيا وسياسيا لمن هم فى صفهم وصف أفكارهم الأساسية الإسلامية فكيف يريدون لنا الاقتناع والمسالمة والموافقة؟ وإذا كان الإخوان بكل عتوهم السياسى والدينى وقوتهم الجماعية والشعبية لم ينجحوا فى إقناع الجماعات المتطرفة بالتخلى عن العنف والإرهاب فهل سننجح نحن فى إقناع هؤلاء بإلقاء السلاح؟

إن الإخوان يعذرون الجماعات المتطرفة بتطرف الدولة، لكننا لا نعذر الإخوان بضعفهم تجاه الجماعات الإرهابية، فنحن لم نر الإخوان يفعلون شيئا سوى البيانات الخجلى بعد كل حادث عنف، فيما عدا ذلك لم نشهد لهم تحركا حقيقيا ضد الإرهاب لا ندوات ولا أمسيات ولا مؤتمرات ولا اجتماعات فى النقابات ومحاضرات للشباب ولا كتب ولا مؤلفات ولا مواقف جادة واضحة ولا بيانات جذرية تحلل وترد وتفند دعاوى الجماعات المتطرفة لم نر ولم نسمع شيئا بل مجرد بيانات خجلى مهذبة وكأن هذا هو المطلوب فقط أو المقدور عليه تماما، أين خطبهم فى المساجد؟ وأين مناظراتهم مع الجماعات؟ أين فتاواهم وأين قوتهم الدينية؟ إن هذا الموقف من الإخوان لا يشجع إطلاقا

الاقتناع بأنهم ضد العنف وضد الإرهاب، فضلا عن أن عباءة الإخوان والراحل السندى والراحل سيد قطب والتنظيمات السرية والكتب المؤسسة للإرهاب هى التى أخرجت لنا ثعابين التطرف من الجحور وربت ونمت ذئاب الإرهاب.

■■■

نعم الإسلام هو الحل

رد من المستشار مأمون الهضيبى

(كان وقتها نائبا لمرشد الإخوان وهو

حاليا المرشد العام للجماعة)

السيد الأستاذ إبراهيم عيسى.. تحية طيبة وبعد، اسمح لى - رغم عدم تعارف شخصى سابق - أن أكتب إليك محييا ومقدرا ثم مذكرا ومصححا.. أما التحية فواجبه لمقالك الرافض لترخص البعض فى خصومتهم لـ«الإخوان المسلمون» إلى درجة استباحة الحرمات والأعراض ومحاولة التشويش والتشويه للنيل من الداعية الإسلامى الكبير الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوى، ورفضك القاطع أن تنحط الخصومة السياسية أو الفكرية أو العقائدية لتخوض فى السير الشخصية أو العلاقات الزوجية مع تمسكك القاطع أيضا بحريك الضروس ضد الإخوان عقيدة وفكرا وسياسة. فاسمح لشخصى الضعيف عن هذا خالص التحية وعظيم التقدير.

أما عن التذكير والتصحيح فإن عددا من النقاط التى وردت بمقالك «أين المصحف والسيف» ردا على الأستاذ محمد عبد القدوس، وإليك بعضها.

أولا : التصريح الذى نسب إلى الأستاذ مصطفى مشهور بخصوص الجزية والأقباط. ورغم أن لنا تحفظات غير قليلة على " الشريط " فإنه كان من الواضح لك وللكل أننا افترضنا أسوأ الأوضاع فعالجنا الموضوع بصدق وأمانة وارتفعنا إلى أقصى درجات الشجاعة حتى أن أحد أعضاء هيئة التدريس بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية وقف بندوة بجامعة القاهرة كان يحاضر فيها الأستاذ صلاح الدين حافظ ليعلن بكل وضوح أن أهمية التصريح إنما تأتى من نسبته إلى من ينطق باسم مؤسسة لها أهميتها وقد أعلنت

المؤسسة بلا تردد رفضها القاطع لذلك التصريح على فرض صحته كما أن من نسب إليه التصريح بادر بتصحيحه والتأكيد على التزامه والتزام المؤسسة بصفة عملية واقعية تجاه الأقباط فى مصر لا يمكن أن تكون مصطنعة أو مجرد مجاملة أو يقبل أن تكون نفاقا لاستحالة ذلك مع مشاركة مئات الآلاف من المنتمين إلى المؤسسة على مدى أجيال وأجيال طالت لسبعين عاما فى الالتزام بها عملا وسلوكا ومبدأ واقعيا _ فلمزتك بخصوص هذه النقطة كان الأحرى أن تترفع عنها.

ثانيا : تقول إن الإخوان يتكلمون عن الديمقراطية.. هم أبعد الناس عنها فتسأل: هل الإخوان يجرون انتخابات لقواعدهم وكوادرهم وأسألك بدورى: ماذا تريد من هذا السؤال؟ فلا يمكن لمثلك أن يغفل أن الإجابة عليه بنعم معناها الإقرار بجناية تحال إلى المحاكم العسكرية ليقضى فيها بالسجن مع الأشغال الشاقة فهل تقصد هذه النتيجة _ أم كان الأولى أن تدافع عن الحريات وحقوق الإنسان وحق كل فئات المجتمع التى تعمل فى إطار الفكر والدعوة السلمية أن تكون الأحزاب والتنظيمات التى يعترف بها قانونا ثم بعد ذلك تشترط ما تريد من الشروط لكى تكون تنظيماتها واختيار كوادرها بالانتخاب الديمقراطى الذى نتساءل عنه على أنى أضيف أنى فى حيرة من أمرك وأمر ذاكرتك التى تحاول استدعاء بعض الأحداث التى وقعت من نحو خمسين عاما لا يعرف جمهور الإخوان عنها شيئا الآن ولم يشاركوا فيها ولا بالذكرى وفى ذات الوقت تنسى ذاكرتك وأنت تتساءل سؤالك إياه أنه فى يناير سنة ١٩٩٥ ألقت الشرطة القبض على الدكتور عصام العريان والدكتور محمود عزت والسيد المهندس محمد الصروى والأستاذ د. محمد حبيب والدكتور خيرت الشاطر ونحو ٦٥ من النخب أساتذة الجامعات وأعضاء النقابات المهنية والأعضاء السابقين فى مجلس الشعب وأعضاء نوادى هيئات التدريس.. وغيرهم من المثقفين والمتبوئين للمراكز الاجتماعية المهمة لها صلات وثيقة بالنشاط الاجتماعى

والخيرى والثقافى والاقتصادى والسياسى لا لجرم إلا لما ورد فى مذكرة مباحث أمن الدولة من أنهم أعضاء فى مجلس شورى لـ«الإخوان المسلمون» فى مصر، انتخبه باقى الإخوان فى المحافظات المختلفة وهم قد انتخبوا فى ذلك الاجتماع المزعوم قيادات الجماعة كما أنهم ارتكبوا الجرم الفظيع الأكبر إذا تداولوا وتبادلوا الفكر والرأى حول انتخابات مجلس الشعب التى كان المقرر أن تجرى فى نهاية ذلك العام " نوفمبر ١٩٩٥ م " فأتساءل متحيرا لماذا أسقطت ذاكرتك ذلك الذى نشرته الجرائد وفصلته تفصيلا " روز اليوسف " وتضمنه قرار الاتهام قضى بناء عليه على هذه النخبة الممتازة بالسجن مع الأشغال الشاقة، أما كان الأولى بدلا من أن تسأل سؤالك إياه أن تسخر قلمك للتذكير بأن هذه النخب الممتازة لم تزل موجودة ظلما وعدوانا وراء الأسوار تعانى من ظلمات السجن وتحرم من أبسط حقوق الإنسان ؟.

أما كان الأولى أن تكتب المقال تلو المقال تدافع عن حرية الرأى وكرامة الإنسان وتطالب بإلغاء هذه الأحكام الجائرة الظالمة وأن تلغى بالضرورة المحاكم العسكرية وقانون الطوارئ وغير ذلك مما أكثروا من دسه فى قانون العقوبات مما يندى له جبين الحرية؟

ثالثا : تساءلت أيضا عن انتخاب المرشد العام لمدى الحياة؟

وأزداد حيرة كيف سقط من ذاكرتك أن جل الجرائد المحلية والدولية والإذاعات العربية والأجنبية أعلنت عقب وفاة المرشد السابق الأستاذ محمد حامد أبو النصر ـ رحمه الله ـ فى الأول من رمضان قبل الماضى أنه قد تقرر قبل سنتين من وفاته تعديل ذلك الذى تساءلت عنه وأن ينتخب المرشد لمدة محدودة هى ست سنوات وأن ذلك التعديل ينطبق على المرشد الحالى الأستاذ مصطفى مشهور، ففيم تناسيك هذا وإثارتك مناقشة بيزنطية لم تعد ذات موضوع.

رابعاً : يؤسفنى أيضا أنك تخالف ما هو معلوم بالضرورة لكل مشتغل بالحياة السياسية فى مصر من أننا أعلنا مرارا وتكرارا رغبتنا فى تشكيل حزب طبقا للقانون المعمول به ما دام ذلك هو القدر المتاح وكان الرد المتكرر القاطع من السيد رئيس الجمهورية بالرفض الأكيد وأنت تعلم أنه أيا كانت الديكورات الواردة بقانون الأحزاب فالقرار للسيد رئيس الجمهورية فقط دون سواه ، ثم أليس من حق الجهات ذات الاختصاص فى أى مؤسسة أن تتحمل مسئولية تقدير الموقف واتخاذ القرار؟ أم أنك تريد أن يكون الأمر سداح مداح وكل من واتته فكرة ذهب بها وجعلها قرارا يلزم الباقين؟ أم أن كل ما تتمناه أن ترى الجماعة قد تمزقت إربا وتشتت بددا وفقدت كيانها؟

خامسا : نعم الإسلام هو الحل نقولها بملء الفم وبالإصرار على الحق الذى لا ريب فيه، والمصحف والسيف رمزان نعتز بهما عملا بالآية الكريمة الواردة فى سورة الأنفال من القرأن الكريم والمشار إليها أيضا فى الزمر ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوكم﴾ الآية.. ومن القديم قال علماء وفقهاء المسلمين كما ينطق به الواقع الذى لا مراء فيه الدين أساس والسلطان حارس وما لا أساس له فمهدوم وما لا حارس له فمهان وضائع وغنى عن القول أن الإسلام أهين واستبيح من أعدائه يوم ضعفت شوكة المسلمين ولم يقوموا بواجب الجهاد لله والذود عن الإسلام ويوم فرطوا فى أسس دينهم فذهبت الأندلس وقبرص ومالطا كما أننا نشاهد الآن كيف استبيحت فلسطين واستئصلت شأفة أهلها وقتلوا وهتكت أعراضهم وسرقوا وطردوا يهيمون لاجئين فى كل الأرجاء ومازلنا نستجدى بعض الفتات فلا يأبه أحد لأنيننا وذلنا.. مثلك يعرف أنه فرق بين جهاد الأعداء وبين العنف الداخلى وقتال المسلمين بعضهم بعضا.

سادسا : ونعم ثانية الإسلام هو الحل، ونحن قلناها مرارا وأكدناها أننا لا نعرف الحكومة الدينية بالمعنى الذى أتى لنا من الغرب أى الحكومة التى تزعم أنها الناطقة باسم الله تبارك وتعالى أو أنها التى تحتكر الدين والقيمة على تنفيذ أحكامه وتفسير نصوصه أو أن تكون لها قداسة من أى نوع كان وقلنا فى أكثر من موضوع وأكثر من مكان أن المتفق عليه بين علماء وفقهاء المسلمين أنه لا توجد قداسة أو عصمة لأحد بعد الأنبياء والمرسلين وقد خطب أول حاكم بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو أبو بكر الصديق فقال عند توليه الحكم «لست بخيركم أطيعونى ما أطعت الله فيكم فإن عصيت فقومونى».

ومثل ذلك قال الخليفة الثانى عمر بن الخطاب، وباتفاق جميع الفقهاء وعلماء المسلمين على مر العصور لم يكن الحكام أكثر من بشر تصدر عنهم الطاعة والمعصية والصواب والخطأ ومن ثم فالحكومة فى الإسلام وإن وجب أن تلتزم بمبادئ الشريعة فهى حكومة مدنية خاضعة للمساءلة والمحاسبة ويجوز تبديلها أو تغييرها كلية أو بعض أشخاصها وأحكام الشريعة التى لا تتغير ولا تتبدل قليلة العدد وهى قواعد أساسية لتحقيق العدل والإنصاف والمساواة الإنسانية والاجتماعية ولصيانة حقوق الإنسان وكرامته ثم إن باب الاجتهاد فيما يستخلص من كثير من النصوص مفتوح لاستنباط ما يناسب المتغيرات الكونية والاجتماعية والاقتصادية.. هذا إلى إطلاق الابتكار والاختراع والتطور فى العلوم الكونية والمكتسبات فى الخبرات والعلوم الإنسانية وكل ذلك داخل فى نطاق المصالح المرسلة وتنظيم المباح لا يحده إلا فى إطار من القواعد العامة التى لا تعرقل أى نشاط.

ومن سنة ١٩٣٨ وفى رسالة الإمام حسن البنا للإخوان قوله : «إذا سألتم ماذا تريدون؟ فالإجابة أننا نريد الإسلام والحكومة جزء منه والحريات فريضة من فرائضه»

ومن ذلك التاريخ أيضا نادى الإمام حسن البنا بالنظام النيابى وقال إن الإخوان لا يقبلون بديلا عنه.

أما إذا كان ثمة من يريد أن يحد لسلطان الله تبارك حدودا وتصوره عز وجل هو وشريعته قابعا فى الصوامع والبيع والمساجد والكنائس يتلو له أتباعه وعبيده أوراد التسابيح بحمده ما دام داخل المسجد فإذا وضع قدمه خارجه انطلق يفعل ما يشاء وبالتالى يقولون إن مهمة الفقهاء وعلماء الشرع والدين عموما داخل دور العبادة فقط فهذا تصور لهم يخصهم وهم شأنهم تصورهم لمعنى الألوهية وصفات الذات الإلهية وسلطانها أما الإسلام فيقرر أن سلطان الله أوسع من ذلك بكثير إنه يشمل الكون كله. والعمل بما أنزل الله ليس قاصرا على التعبد داخل المسجد إنما هو حيثما الإنسان، فالله ناظر إليه محاسبا له عن عمله وقد وضع له دستورا للعمل فى كل مكان وفى كل زمان وعمل الفقهاء والعلماء وارد فى السياسة والاجتماع والاقتصاد وفى الزواج والطلاق والزرع والاستثمار وهذا هو الإسلام كما يقول به «الإخوان المسلمون» إنه دين ودولة دستور وشريعة وقانون .. إلخ.. وهو ما يقول به علماء الشريعة فى مصر سواء من الأزهر أو من غيره وفى كل مكان من أرجاء الدنيا به مسلمون، ولقد نادينا بأن يختار حكام البلد عبر انتخابات حرة ونزيهة.. أما اشتراطك أن يكون المنتخبون ليسوا من الشيوخ أو أئمة الدين فشرط عجيب وكيف تفرض نفسك قيما على الشعب.

الأستاذ الفاضل:

إن الأستاذ محمد عبد القدوس ـ كما نرى مما سبق ـ لم يعبر فى خطابه لك إلا عن واقع الإخوان وهو لم يكن وليس حالما بل صادقا أمينا فجزاه الله خيرا.

ختاماً: تحية أخرى وسلاما قلبيا ودعاء إلى الله أن يهدينا جميعا سواء السبيل وأن يأخذ بنواصينا إلى الهدى والتقوى والعمل الصالح لنا فى دنيانا وآخرتنا.

قلت لصديقي محمد عبد القدوس أن أحدا من «الإخوان المسلمون» لن يشاركه أبدا رأيا في أن الحرية قبل تطبيق الشريعة الإسلامية.. وجاء رد المستشار مأمون الهضيبي على مقالي ليثبت بتجاهله الشديد للقضية أن الإخوان فعلا لا يشاركون محمد عبد القدوس مغبة الحماس الشديد للحرية وأن يقدمها على تطبيق الشريعة. لم يقل لنا المستشار مأمون الهضيبي رأيه واضحا وصريحا أو غير مباشر تلميحا بأنه يرى أن الحرية قبل تطبيق الشريعة لأن هذا رأى يعني قلب الإخوان رأسا على فكرة، وفكرة على تيار، وجماعة على حزب ورأسا على عقب.

ورغم ذلك فإنني أشكر المستشار الهضيبي لتفضله بالرد والتعقيب وهذا يعني أن «الإخوان المسلمون» في مرحلة متقدمة متطورة للدفاع عن حرية الرأى وسوف آمن وأومن بذلك لأنهم يقولون ذلك بصرف النظر عن صحته أو دقته أو وجوده أو عدمه فقط لقد ركز المستشار الهضيبي نائب المرشد العام للإخوان في تعليقه ورده على مقالي على قضية الديمقراطية ومبدئيا أريد أن أنبه وأوضح أنني لست الذى أخترع القضاء العسكرى فإنني لست مدينا للإخوان بموقف سياسي بوليسي بل العكس فقد كنت من الذين وقعوا بيان التنديد بالإحالة للمحاكمة العسكرية فاليوم الإخوان وغداً أى معارض للحكم والتحويل لمحاكم عسكرية لا يزال في ظني وفي ذهني معادلا لديكتاتورية وزهقا من الحرية وإحالة للأمر برمته إلى قبضة ثقيلة لا يعلم إلا الله مدى ثقلها على النفس والصدر والوطن فضلا عن أنني أرى أن الديقراطية لا تتجزأ وأنها كل واحد لا يصلح معها البيع القطاعي بل هي بالجملة وإذا كان الإخوان يذهبون للسجون للقضاء العسكرى فإنني أنبههم أيضا إلى أن إخوانهم المثقفين يذهبون إلى محاكم التفتيش ومحاكمة

للضـمـيـر والاتهـامـات والطعن فى إسـلامـهم ويذهـبـون إلى مـقـصلة الاتهـام بـالردة بل ويتـعـرضـون لما هو أشـد نكالا ووبالا وهو التـعـرض إلى الرصـاص والقـتل وتهـديد الحـيـاة وليس السجن فقط.

ورغم إيمانى أن الحرية ليست مقايضة وأن الوقوف إلى جانب الديمقراطية ليس على طريقـة تراعينـى قيـراط أراعـيك قيـراطين إلا أن الخطر واحـد وفـادح وظالم ومـاثل ولا يجب أن نتعـامل مع حرية الرأى على أنها حريتنا فـقط بل هـى حرية الخصوم قبل حريتنا أحيانا.

تحدث المستشار الهضيبى فأفاض على الديمقراطية ولكننى ما زلت أرى أن ممارسات «الإخـوان المسلمـون» فى النقـابات التى هيـمنوا عليـهـا وسـيطروا على أمـورهـا وتسلمـوا مقـاليـدها خـلال السنوات السابقـة لا يبـشـر بأن الإخـوان ديمقـراطيـون بل علـى العكس وأدعـوهم إلى ممارساتهم التى أدت ـ طبـعـا مع تعنت الحكومـة ـ إلى غلق النقـابات نتيجـة الفساد وغـياب الديمقراطية وأظن أن القـضـاء الذى أغلق هذه النقابات هو نفسـه القضـاء الذى يحـتمـى به الإخـوان فى أحكام كثيـرة لصـالحهم وعلينـا جـميعـا احـترامـه أحـيـانـا. ممارسـات الإخوان فى النقـابات ونوادى هيئـة التـدريس التى سـيطروا عليهـا كذلك كـانت تبـيـانـا عـظيـمـا لغيـاب الديمـقـراطية وسيطرة الـرأى الواحـد وغـيـاب المعـارضـيـن وتغييب الخصـوم والوقوف عـند فكرة واحـدة وهـى سيطرة الإسـلامـيين والمنتمين للإخـوان على كل شىء وعدم السمـاح للآخرين بالدفاع وما بالك بالترويج لأفكارهم وكـانت النقابات "ولعلها لا تزال" ونوادى هيـئات التـدريس زعيـقا من طرف واحـد وسيطرة من جـانب واحـد، جـانب المنتصـر المهيمن الممسك بشـعـارات دينيـة تتحـول أحيـانـا ـ بل قل غـالبا ـ إلى إرهـاب يقيد حـرية الآخـرين فـى المواجهـة والمواجهـة الحـقـيـقـيـة الجـذرية، وأخشـى إذا أضفنا تجـارب

الإخوان فى الحكم فى بعض الدول العربية وما شابها من ديكتاتورية صارخة "والسودان ليست بعيدة" نضع لنا صورة كابية وكئيبة لتصور الإخوان عن الحكم وممارساتهم الديمقراطية والأمر الذى يسمح لبعض المتشائمين وأنا لست منهم إلى الاعتقاد بأن الإخوان والديمقراطية ليسا على وفاق وأن دعوة الإخوان للديمقراطية إنما هى دعوة وقتية تستغل رواجا شعبيا لهم من أجل الوثوب إلى غرض آخر وهو الحكم المطلق وإن" كنت أتمنى ألا يكون الأمر على كل هذا النحو من الظلام والعتمة..

وإذا كانت تفصيلات كثيرة فى رد المستشار مأمون الهضيبى تستحق التعليق فيبدو أن أهمها هو عدول الإخوان عن بقاء مرشدهم مدى الحياة وتحديده بعدد من السنوات وهى خطوة ولا شك حميدة طيبة نشكرهم عليها ولكن تعنى فى الوقت ذاته أن ممارسات عن غياب الديمقراطية والأبدية كانت تحكم الإخوان طوال هذه السنين الماضية ويبقى أن كل الحكام العرب يحددون مددا لانتخابهم ويخرجون عنها ويستمرون فى الحكم مدى الحياة فأتمنى ألا يكون حظ الإخوان مثل حظ الحكام مستمرون أبدا ولا يتغيرون أبدا.

ويبقى كذلك خروج حزب الوسط هذا الخروج المشين من دائرة زهق الإخوان بالحرية بحثهم عن الديمقراطية الذى انتهى بأن وقف الإخوان أمام حزب يقوده الشباب يحاول التعبير عن نفسه وأظن أن ممارسة من هذا النوع درس لنا أنها جماعة تقف أمام الديمقراطية وترى أنها انشقاق عنها وموقف ضدها.

أعود إلى المصحف والسيف وأسأل مرة أخرى: هذا الشعار ضد من؟ مصحف وسيف ضد من؟ هل ضد عدو الله وعدوكم ومن هو؟ هل نحن؟ هل المخالفون فى الرأى أم؟ أنه شعار ضد إسرائيل؟ وهل قضية إسرائيل الشغل الشاغل لشعار الإخوان أم أنه شعار يتجاوز ذلك إلى حد الوقوف ضدنا والتلويح لنا بالمصحف والسيف؟ وهل هو تمسك

بشعار زمنى وتاريخى أم أنه عقيدة فعلا ذات جذور يصعب اقتلاعها أو يصعب مناقشتها؟

مازلت أرى يا سيدى المستشار أن المصحف والسيف شعار فى باطنه الإرهاب. الإرهاب كأن المصحف هو مصحف الإخوان وليس مصحفنا جميعا، وكأن السيف ضد المخالفين لكم والمعارضين لكم وليس ضد أعداء الأمة وأعدائى أنا أيضا، بل هو ضد عدوكم أنتم فقط وتختارون أنتم أعداءكم فى كل حين بما يليق بهذا الحين.

أما الدولة الدينية فلست أنا الذى يسير وراء ترويجات الغرب وتفسيراته لها، بل أنا الذى قرأتها فى نصوص الإخوان وكتب سيد قطب ليست بعيدة عن مكتبتنا إلا إذا وصل التطور الإخوانى إلى التبرؤ من سيد قطب وإخوانيته هذه الأيام الدولة الدينية هى احتكار فئة لدين والحكم به على الناس وليست فقط فى حكم الشيوخ والأئمة.

حسنا.. كانت هذه مجرد عجالة لرد مهم وخطير صدر عن رجل مسئول أرجو أن يتسع صدره لخلاف فى الرأى قائم على الاحترام.. شديد الاحترام لكم ولأفكاركم ولتجربتكم السياسية وإن كان خلافا عميقا وجذريا يا سيدى.

■■■

الجزء الثانى

من ينقذنا من مماليك هذا الزمان؟

من المؤكد أنك تعرف.. تعرف أن المماليك حكمونا آه.. وتعرف طبعا أن المماليك كانوا عبيدا أرقاء وبالمناسبة.. نحن الأمة الوحيدة فى العالم التى اشترت عبيدا ليحكموها.. هذا تاريخ.

وبما أنك قد لا تكون مهتما بالتاريخ ولا حتى بالجغرافيا فأنت " مش ناقص " فدعك من هذا كله تعال فقط لأسالك: هل تظن أن الأمر توقف عند التاريخ؟ السؤال بطريقة أخرى: هل تعتقد أن هذا لم يترك أثره .. وآثاره .. داخلنا .. داخلنا يعنى فى نفوسنا، شخوصنا تصرفاتنا . سلوكياتنا .. تفتكر !! أنا أفتكر..

وكاتب آخر فى كتاب جديد يعتقد ويفتكر مثلى ومثلك لا أقصد طبعا أننا عبيد، ولا داعى لتتصور أن هناك إحساسا بالدونية لدى أو أننى أرى أننا حقراء عبيد سلالة عبيد.

كتاب صدر منذ أيام بعنوان «تراث العبيد فى حكم مصر المعاصرة» يتحدث عن آثار العبيد، وصدر عن المركز العربى للمعارف، الكتاب يحمل حالة من الجدية والعلم والأهمية والهم والطرافة والغرابة والعمق والهزل كل هذا معا .

تحبه أحيانا وتأخذه أحيانا مأخذ الجد وأحيانا أخرى تضحك معه وبه وعليه ... لكنه يستفزك ويحرضك على التساؤل.

مؤلفه لم يفصح عن اسمه قال لنا ـ فى لغز غريب ـ إن الأحرف الأولى له ع . ع، وأنه أستاذ اجتماع تاريخى " لا نعرف فى أية جامعة لكن يبدو أن هذا هو أول أثر من ترك العبيد فى حياتنا المعاصرة حيث من الواضح أنه فعلا أستاذ جامعى.

أولا ... لأنه يتحدث عن تفاصيل فى عالم الجامعة وهيئات التدريس قد لا يلم بها على هذا النحو إلا عاملون بالجامعة يكفى لنعرف حجم عذاباته أو قرفه منه ولنعرف كذلك أنه قريب ووثيق الصلة بهذا العالم .

ثانيا : أنه صريح حتى التجريح العلمى أحيانا، فضلا عن استخدامه عبارات وتعرضه لعبارات قد يخضع فيها للوم زملائه أو أساتذته أو تأففهم الأكاديمى التافه، الأمر الذى وفره على نفسه بعدم ذكر اسمه خوفا أو تخوفا تحاشيا لوجع القلب.

لنتجاوز هذا الغموض الذى قد لا يعنى شيئا على الإطلاق والذى لم أشغل نفسى بالبحث عن حقيقة اسمه، لأنه ما يعنينى مادام قد قرر التخفى أنه يفضل ذلك وقد يكون لمزيد من الشهرة.

ونجيب من الآخر..

يرى المؤلف أن المماليك ما زالوا بآثارهم الاجتماعية يعيشون فى مصر الآن بل وأن تأثيراتهم السياسية والاجتماعية لا تزال باقية بقوة . طبعا هم حكمونا ٢٦٧ سنة فقط. ثم دخلت الحملة الفرنسية إلا أنهم ظلوا سنواتها أحياء ثم أقوياء حتى جاء محمد على وذبحهم «١٢٠٠ مملوك ضحايا مجزرة القلعة وإبراهيم باشا ابنه قتل ٤٠٠ كذلك فى مجزرة إسنا» إلا أن المماليك ظلوا بنسائهم وأولادهم ثم بسلالتهم ومن تبقى منهم يسيطرون على الحياة الإدارية فى مصر حتى جاءت ثورة يوليو فأنجزت ما أنجزت لكن طبعا كل هذا خلق توالدا وتناسلا وتلاقحا عائليا جعل دم المماليك وراثيا فى دمنا فضلا عن آثارهم فى وجداننا وسلوكياتنا ثم تصرف الجينات والخلايا فيزيقيا وطبيعيا ..

حلو الكلام؟

ولا حلو ولا نيلة .. بل ينذر بأوخم العواقب ...

نأتى للتأثير المملوكى على حياتنا اليومية ـ خذ بالك لا نقول أننا عبيد بل إننا أجدع ناس يا عم ـ مثلا فنورد ما أورده الرجل .

الشتيمة مثلا من تراث المماليك . شتيمة الرجل بعورة اختراع مملوكى حيث لا أم للمماليك ولا أصل ولا فصل ومن ثم فإنه يريد إهانة المصرى أو الفلاح فى المنطقة الخطر لديه.

ليس هذا فقط بل الشخير أيضا بمعنى أن الحركة الإسكندرانى التى نفعلها أو تصدر من فمنا إذا لم يعجبنا شىء أو كلام الشخص الذى يقف أمامنا فى أصلها صوت معبر عن الجنس أو الممارسة كانت تصدر عن المملوكى يقول له متيجى أحسن تعتدى عليا جنسيا أو كأنك تلوط بى عندما تقول هذا الكلام أو غيره مما يسىء.. إن البداية بالشتيمة والألفاظ النابية لا لشىء إلا لأنها وجه لم يكشف من قبل فضلا عن أن " السباب " وكلمات اللعن والقذف والشتيمة فى قاموس أى مجتمع هى موروثة والتعبير عن تراكمات التأثير فيه ..

هل يصلح مثلا لتأثير المماليك .. طبعا لا يكفى خذ عندك وأنا أقرأ لك الآن من الكتاب .. ومن الطبيعى أن يتفنن العبد عندما يصبح حاكما فى الإيقاع بين مجموعات العبيد " المماليك " التابعين له خاصة إذا كانوا من المجلوبين أو المجاليب ولم يكونوا قد تربوا على يديه صغارا فكان لهم " أستاذا " ونتج عن ذلك تبلور مفاهيم "المهموز " و " الدبوس " و " الزنب " (جمع زنبة بضم الزاى وتسكين النون وفتح الباء) وهى مفاهيم مملوكية أصيلة ما زالت مستخدمة بألفاظها غالبا، وإن كان المصريون قد عبروا . بعد ذلك ـ عن المعنى نفسه بألفاظ أخرى " كالتدبيس " بمعنى تلفيق التهمة أى إسناد تهمة

لشخص برىء، والكلمة تستخدم غالبا فى مجال إظهار البراعة (براعة الكاذب فى إسناد التهمة للبرىء).

و " التلبيس " ومعناها لا يختلف كثيرا عن "التدبيس " وأحيانا تستخدم كلمة قبيحة تعنى إدخال الإصبع فى مؤخرة شخص ما وهى كلمة يتوالى فيها حرفا " الباء " و " الصاد " ولا يقصد بهذه الكلمة الأخيرة المعنى الحرفى وإنما لا يختلف معناها كثيرا عن إعطاء " دبوس " أو مهموز "لفلان من الناس أو " تدبيسه " فى عمل صعب "أو " تلبيسه " تهمة. إنه تراث مملوكى أصيل وربما يمكن القول إن مثل هذه الأمور لا يخلو منها مجتمع إنسانى .

وهذا صحيح أما أن تصبح هذه الأمور هى " النسق العام " و " المسلك الطبيعى " بحيث لا تؤدى لأى إحساس بالندم بمعنى " الشغل شغل " إلخ، فإن هذا يؤدى لعواقب وخيمة لا تصلح معها قوانين إصلاحية أو تشريعات فيصبح الحاصلون على " المكافآت " ليسوا هم بالضرورة من يستحقونها، ومن يحصلون على علاوات بالضرورة من يستحقونها ومن يحصلون على علاوات تشجيعية ليسوا هم بالفعل من يستحقون التشجيع .. إلخ، وقد رصد الفكر الشعبى كثيرا من هذه الأمور فى حكمه وأمثاله . فكل أمير مملوكى يحرص على أن يكون له المماليك " بتوعه " وإذا وصل مملوك إلى عرش السلطنة حرص على تكوين مجموعة مملوكية جديدة حتى يضمن أنها ستكون " بتاعته " لأنه لا يضمن ولاء مجموعته التى كان منها .. وظلت فكرة "البتاع " و " البتوع " تتوارث جيلا بعد جيل، وهى ما زالت موجودة على نحو أو آخر فمن المحال محو أكثر من ألف عام من التراث المملوكى، فلابد للمدير العام أن يكون له " بتوع " غير بتوع المدير العام الآخر وأن نظرة للأرقام التى أبرزناها آنفا وهى قليل من كثير، تبين إذا وضعنا فى

اعتبارنا تناسل المماليك فى مصر لا تقل بأى حال من الأحوال عن نسبة الدماء العربية خاصة أن المماليك كانوا يأكلون أجود الطعام من لحوم وألبان وبهارات تساعد على شدة البأس فى مضمار التناسل بالإضافة إلى أنهم كانوا من الأصحاء فليس التراث المملوكى فقط هو أحد العوامل الأساسية الفاعلة وإنما الدماء المملوكية أيضا والتراث على أية حال يتوارث كما تتوارث الصفات الفيزيقية وقد عبر الفكر الشعبى عن ذلك وشخصه دون معرفة جذوره التاريخية إذ يقال دائما «نحن نخاف ومنختشيش» بمعنى أننا نخاف لكن ينقصنا الحياء، فقد لاحظ المفكر الشعبى أن الموظف لا يؤدى عمله إلا خوفا من مديره والمدير لابد أن يكون لديه دافع شخصى لمباشرة العمل غير راتبه الذى يتقاضاه وحوافزه التى يحصدها والمدير بدوره يمكن أن يصدر أوامر مخالفة للقانون والنظام إذا ضمن العاقبة ولم يكن هناك ما يخيفه.

فالعلاقات المملوكية أساسها الخوف، الخوف من أميرهم والخوف من مماليك الأمير الآخر وخوف السلطان من مماليكه هو بعد أن يصل إلى السلطنة وخوف مماليكه هو بعد أن يصل إلى السلطنة وخوف مماليكه هم أنفسهم منه خوفا من تكوين مجموعة أخرى ومن الطبيعى ألا يرحب المماليك القدامى بمملوك آخر ينضم إليهم فقد يشاركهم كميات اللحوم والخبز والحلوى التى توزع عليهم فتقل أنصبتهم وقد تزيد حظوته عن حظوتهم عند أستاذهم أو أميرهم.

الآن أسألكم: من منا لا يرى هذه المشاهد ويعانى من عواقب الأمور فى مصر. كلما سيرت وصرت كلما عبرت ومرت كلما قابلت والتقيت كلما عشت أو مت .. تجد هذا مائلا، وتجد دائما هذا الحنق والغضب الذى يرميه المواطن المصرى على نفسه وعلى شعبه، دائما تجد التذمر فى الأوتوبيس، فى الشغل، فى الجامعة . إن المصريين كده، إننا

شعب إيه وإيه ويستأهل معرفش إيه، وهذه العبارات والأحكام التى تصادفها فتصادف أحيانا هوى وتهوى أحيانا مصادفة حتى أن حكاما مصريين استخدموا حكاما عامة على الشعب تشبه هذا. اسمع مثلا الحوار الذى جرى بين السادات وأحمد بهاء الدين حول الفرعون !! اسمع مثلا كلمات التأنيب والتقطيم التى يلقيها مسئول فى خطبه عن الشعب، أنه يزرب كثيرا أنه لا يخاف وما إلى ذلك .. ومن ثم تكتسب هذه الملاحظات والإرجعات التى يقوم بها الكاتب المجهول لكتاب «تراث العبيد» شيئا من المنطق عندى. ربما الأمر على هذا النحو من القطع لكن لا يمكن تجاوز شيئين:

الأول : أنه من المؤكد وجود تأثير مملوكى حتى إن لم يكن فيزيقيا فى البنية الأساسية فى المواطن المصرى، فليكن التأثير تأثيرا اجتماعيا وسياسيا .

الثانى : أن كثيرا من خصال وخصالات الشعب المصرى الواردة هنا صادقة ومنطبقة علينا ومن ثم يستحق الأمر كله الملاحظة والمتابعة، ولعله يستحق المواصلة دون أن نصدق أو نكذب فلنواصل معا قراءة منطقة أخرى من الكتاب .

وفى مجتمع الرقيق الأبيض بحكم تكوينه لابد أن تكون الجدعنة تعنى الإتيان بغير المألوف، وغير المألوف فى هذا المجتمع قد يعنى الشجاعة الفائقة فى الحرب، ولأنه لا ينبغى أن يكون أجدع من الآخرين فإن جزاءه عادة ما يكون القتل، وقد يتحالف ويتمكن من الوصول للسلطة فيكون بذلك هو الأجدع بالفعل ولأنه يعلم أنهم لن يتركوه فإنه يحتاط بشراء مماليك جدد ويتصارع المماليك الجدد مع القدامى صراعا دائما وفى عهد الدولة العثمانية قنن الفقهاء مسألة الصراع هذه تقنينا دمويا فاعتمدوا على أحاديث عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهموا منها أنه إن تنازع اثنان على السلطة وجب قتل أحدهما، هكذا قتل، لذلك فقد كان السلاطين العثمانيون الأوائل يقتل الواحد منهم ابنا

أو أكثر من أبنائه ليضمن أن ولى عهده ابنه الذى اختاره لولاية العهد لن ينازعه أحد آخر، وهكذا طغت فكرة الصراع غير الطبيعى على عاطفة الأبوة وهى عاطفة طبيعية لقد طغى ما هو مصطنع على ما هو فطرى لذلك فإن عددا كبيرا من المؤلفين والكتاب والمبدعين يستخدمون الألفاظ بمعناها القاموسى أو المعجمة، وهم لا يدرون أن المتلقى يفهم معنى آخر تماما وفيما يلى بعض الأمثلة ..

النزاهة : معناها فى المعجم الوجيز هو البعد عن السوق وترك الشهوات «مادة ن زهـ» وهو المعنى الذى يفهمه المثقفون لكن كثيرين لا يفهمون معنى النزاهة على هذا النحو كما يتضح من خلال الحوارات التالية وهى حوارات واقعية أجراها المؤلف ويمكن للقارئ أن يجرى حوارات مثلها : حوار «١»

....

كيف الحال يا حاج

الحمد لله

وكيف النجل الكريم فلان

بيشتغل سواق تاكسى

يا خبر يا حاج ده خد الثانوية العامة وكنا منتظرين

حوار " ٢ "

....

لكن ده عمدة نزيه، ميتعشاش غير بالكباب ويشرب ميه بيضه " خمرة "

ملحوظة: نطق محدثى " نزيه " بحذف النون "، ووجدت ذلك شائعا أى نطق هذه بكسر النون فى قرى محافظة الغربية.

حوار " ٣ "

ده واد مش بتاع شغل

وكان الحديث عن فلاح يقضى وقته على المقاهى فى البندر " المدينة ".

ماذا يفهم هؤلاء ومثلهم كثير من كلمة النزاهة عندما يتحدث بها السياسيون أو تجرى على لسان شخوص المسرحيات والمسلسلات أم أن كتاب السيناريو ومؤلفى المسلسلات يكتبون للمثقفين فقط؟

والمعنى القاموسى للشهامة كما فى مادة " ش هـ م " بالمعجم الوجيز هو عزة النفس وحرصها على مباشرة أمور عظيمة تستتبع الذكر الجميل، أما جدع فمعناها المقصود ليس قاموسيا والمفترض أن الجدعنة هى الشهامة لكن قطاعا كبيرا من الشعب لا تعطى له الكلمتان هذا المضمون القاموسى، كما يتضح من خلال التعبيرات والسياقات التالية :

ده واد جدع يحط " يضع " صوبعه " أصبعه " فى عين التخين.

والمكلفون بالتعذيب عادة من الجدعان بهذا المعنى.

غالبا ما يختلط معنى الجدعنة " الشهامة " بمعانى النزاهة " الآنف ذكرها.

ارتبطت الجدعنة أحيانا بالخروج على القانون.

كأن ينظر أحيانا إلى اللصوص والخارجين على القانون بشىء من الإعجاب على أساس أنهم جدعان و «عيال» آخر شهامة.

وهذا يفسر التعاطف النسبى مع بعض المجرمين والخارجين على القانون والدولة بعد كل مواجهة " مسلحة " مما يجعل هذه " المواجهات غير مطلوبة فى أحيان كثيرة وكل هذه المفاهيم من بقايا تراث العبيد البيض .

المعنى القاموسى للحكم كما ورد فى المعجم الوجيز "حكم فى الأمر قضى فيه ويقال حكم له وحكم عليه وحكم بينهما والمعنى القاموسى للركوب كما فى مادة ركب الدابة بالإضافة إلى أن لكلمة الركوب مداولا جنسيا لا يخفى .

وما زلت أذكر سنة ١٩٧, م عندما توفى عبد الناصر - يرحمه الله - فسألنى فلاح عجوز " عبد الناصر " الله يرحمه مات؟ " فقلت " نعم " قال ألف رحمه تنزل عليه.. ثم صمت قليلا وقال سائلا: والحين من ركب؟ أى من الذى ركب.. ولم أفطن إلا بعد جهد وحوار غير قصير إلى أن الرجل يسأل من الذى سيحكم «سيركب» مصر بعد عبد الناصر؟ فعدت بعقلى إلى تاريخ المماليك قبل أن أقول لهم أنه الرئيس السادات كانت الإشارات إلى دلالات جنسية مجالا أساسيا فى المداعبة والمزاح فى مجتمع العبيد البيض.. إنه مجتمع العزاب المجاليب الأغراب ومجتمع من لا يعرفون أبناءهم وتتسرب المفاهيم نفسها بعد الزواج وكانت أحد أساليب المجموعة المملوكية المنتصرة لإذلال المجموعة المملوكية الأخرى المنهزمة إذا كانت العاقبة مأمونة هو ممارسة اللواط مع أحد أو بعض أفرادها بالإجبار أى اغتصابا وذلك كنوع من الإذلال بممارسة الجنس مع الرجال أو النساء، خاصية من خواص الشرق المملوكى، فالعلاقة الجنسية فى المجتمعات التى لم تتشرب تراث العبيد علاقة نفعية متبادلة يستفيد منها الطرفان إن تمت فى ظروف الموافقة وهى نوع من الاعتداء إذا تمت فى ظروف لم يكن فيها أحد الطرفين راضيا فهى اعتداء يمكن لرجل إنجليزى أو فرنسى أو أمريكى .. إلخ أن يعلنه ويبوح به ببساطة

شديدة دون أى إحساس بالعار وإنما هو يذكره باعتباره اعتداء وقع عليه تماما كسرقة بعض ماله أو تخطية فى الترقية أو تعرضه لحادث سيارة إنه يقول أن فلانا " .... " بدون رغبتى تماما كما يقول أن فلانا قد صدمنى بسيارته أو خطف قبعتى وربما يشرح .

والمغتصب فى المجتمعات الغربية لا يفكر أبدا فى إذلال من اغتصب رجلا كان أو امرأة وإنما يريد أن يحصل على المتعة من طرف واحد، ومن هنا فلم نسمع عن ممارسة الجنس قهرا مع المخالفين السياسيين أو هتك أعراض نسائهم فى المجتمعات الغربية وإنما كان هذا قصرا على مجتمعات الشرق ذات التراث المملوكى، وعمليات الاغتصاب قد تكون مرافقة للحروب، الحرب بين دولة ودولة، لكنها أبدا وبالنسبة لمجتمعات الغرب لا يمكن أن تكون على مستوى المجتمع الواحد كنوع من العقاب بالإذلال.

أصل إلى أهم ما فى الكتاب وأهم ما يفجره من قضية حتى لو فقط شرف التساؤل وأثاره الموضوع أحببت كثيرا هذه الملاحظة المملوكية التى تجرى أمامنا كل يوم ولا يوجد لها مثيل فى أى مكان فى العالم قبضيات حياتنا اليومية نقرأ معا الدكتور ع.ع الذى يذكرنى بابا على على على ماذا يقول بين الضريبة والفرضة بكسر الفاء وتسكين الراء لعله بات واضحا فى ثنايا هذا الكتاب أن المملوك لا يجيد إلا الحرب أو إدارة الصراع بين مجموعته نفسها أو بين مجموعته والمجموعات الأخرى فإذا لم يحصل على وسيلته بواحدة من هاتين الوسيلتين فليس أمامه إلا تجارة النفوس وهو أن يحصل على المال من الذين يعملون أو من الذين يحصلون المال.. والمطالع للشارع المصرى يظن أنه حر لا تحكمه إلا قوانين وأساسات كالبلدية والمحافظة .. الخ

والواقع أن هناك حكومة خفية مملوكية لا يراها إلا المتمعن فهناك تكتلات مملوكية تمنع التاجر المتجول إلا إذا دفع لغير البلدية وتمنع فرش البسطات والبيع على الرصيف

إلا فى حالة الدفع لغير البلدين وتمنع لفتح المحال التجارية والتى تمارس نشاطا تجاريا مماثلا لمحلات أخرى قريبة إلا إذا دفع صاحب المحل الجديد لغير البلدية، بل هناك تكتلات تمنع بعض المدرسين منهم ممارسة الدروس الخصوصية غير وزارة التربية بل وتمنع بائع العرق سوس من التجول فى مناطق بعينها غير وزارة الصحة بل وتمنع المتسول من التسول فى مناطق غير مخصصة له غير وزارة الداخلية.. فلكل منطقة قبضايا خاصة بها فى مختلف المجالات.. لكل منطقة مملوك يفرض فرده على من يتكسبون أما هو فمصدر رزقهم الفردة.. وقد يبدو أن الفردة قد انتهت ولم يعد لها وجود إلا فى روايات نجيب محفوظ التى صورت مصر منذ أواخر القرن التاسع عشر والواقع أنها تطورت وتحورت وغيرت من جلدها بما يوافق بعض التغيير الذى حدث فى المجتمع المصرى وفيما يلى رصد لبعض ظواهر الظاهرة فى القاهرة الكبرى وبعض المحافظات لكن قبل ذلك لابد من التنبيه إلى أن هذا البحث ليس نقضا أو بحثا عن العيوب لكنه بحث فى الاجتماع التاريخى فى المقام الأول كما أنه لا يقصد التشهير بأحد .

ثم نأتى إلى السؤال الجارح الجامح الصريح الواضح المؤلم المقبض .. لماذا يتصارع المصريون فى الخارج صراعا تشهده الجاليات الأخرى؟ يقول : لقد حار القاصى والدانى فى أمر المصريين إذا ما اجتمعوا فى بلاد الغربة إذا ما هاجروا إلى الولايات المتحدة أو بلاد الإنجليز إذا أعيروا أو تعاقدوا فى السعودية أو فى الكويت أو غيرها من الدول إن بأسهم بينهم يكون شديداً ولا تكاد تجد بينهم روح الجماعة أو القبيلة أو العشيرة، يبلغ بعضهم عن بعضهم الآخر كذبا وباطلا أو حقا أريد به باطل، يتحالفون تحالفات مؤقتة لإسقاط الناجح منهم، يكونون تجمعات صغيرة ضد تجمعات صغيرة أخرى، ولم يحدث إلا فيما ندر ولظروف مؤقتة إن ظهروا بمظهر الجالية الوطنية التى تحافظ على

مصالحها الوطنية وتظهر التشرزمات المملوكية بين المصريين فى الخارج بلاد الغربة بشكل أوضح بكثير مما تظهر داخل مصر نفسها وثمة ظواهر مهمة يمكن رصدها ويمكن أيضا تفسيرها من واقع التراث المملوكى العريق تراث العبيد فى الحكم والاجتماع تساوت الرؤوس .

لنتصور معا عميد إحدى الكليات الجامعية فى المدرس بكل جهده وكل إيمائته أن يثبت أن أيام سيطرة العبيد قد ولت وأنه أى المدرس حر هنا وأنه لا سيطرة لعميد أو غيره عليه وأن هذا العميد وصل لمنصب العمادة فى مصر بالتهجيص وأن قاعة المحاضرات الآن هى الفيصل بينهما ولابد أن يتعرض هذا العميد إذا لم يكن قوى الشكيمة بارعا هو الآخر فى ممارسة التراث المملوكى بشتى أنواع الإهانات وقلة القيمة، إن المدرس فى هذه الحالة يتصرف تصرف المملوك الذى أفلت من قبضة أستاذه أو المملوك الذى يسعى بدوره لتكوين مجموعة خاصة به ضد مجموعة العبد المملوكى الآخر ليبدأ المملوكان فى الصراع للوصول إلى السلطة والسلطة هنا هى الوصول إلى قلب صاحب العمل الجامعة الأجنبية التى يعملان بها والوصول إلى قلب السلطان وهو هنا رئيس العمل السعودى أو الكويتى أو الأمريكى الخ وغالبا ما ينجح المدرس الأقل درجة فى مصر فى تحطيم العميد الأعلى درجة فى مصر لأن السلطان صاحب العمل الإماراتى أو القطرى .. الخ غالبا ما يكون لديه استعداد نفسى للاقتناع بأن الكبير فى بلاد السلطان الآخر صغير عنده وهذه هى القاعدة التى لها استثناءات تؤكدها ولا تنفيها .

كان يستطيع العميد المصرى بحكم خبرته المملوكية أن يربط مصالح بعض أهل البلاد الأجنبية التى يعمل بها بوجوده كأن يعد أحدهم بالتسجيل لهم بدرجة الدكتوراه فى مصر، ويعد الآخر بتسهيل أمر إقامته فى مصر، ويعد ثالثا بإعداد بحث ينسبه أى هذا الثالث لنفسه ... إلخ.

إذا استطاع لعميد المملوك الكبير أن يعطى زنبة مملوكية أصيلة المدرس المملوكى الصغير يجعل السلطان صاحب العمل الأجنبى يصخر عليه إذا استطاع العميد المملوكى الكبير أن يقيم مشروعا تجاريا مع السلطان أو أحد رعاياه فقد ضمن فى هذه الحالة البقاء الدائم إذا استطاع العميد المملوكى الكبير أن يزج بعض المسائل زوجته أو إحدى بناته لتقيم علاقة حميمة مع حريم السلطان بحيث لا يستغنين عنها إذا أقنع العميد المملوكى الكبير المدرس المملوكى الصغير أنه سيستقيل بعد عام أو عامين أو أن عقده سينتهى بعد مدة محدودة ففى هذه الحالة قد يفكر المملوكى الصغير فى إنهاء الصراع .

وبطبيعة الحال فإن المملوك الصغير سيفكر مائة مرة قبل شن الحرب على المملوك الكبير إذا فهم أو جعله المملوك الكبير يفهم أنه أى المملوك الكبير ذو صلة بالأجهزة النافذة فى مصر وأنه أى المملوك الكبير يستطيع أن يجعل هذه الأجهزة النافذة تلقى القبض عليه فى المطار عند قدومه لمصر أو تدخله فى غياهب السكون والمعتقلات إذا فكر فى العودة إليهم ويصبح المملوكان الكبير والصغير أصدقاء فى الظاهر حيث تخفى حدة الذنب والدبابيس... إذا علم المملوك الصغير أنه سيعود إلى مصر بالضرورة مع المملوك الكبير الذى سيكون له عليه نفوذ أو سطوة مرة أخرى فى مصر وما ذكرناه أنفا ينطبق على حال المدرس الأول والمدرس والناظر والمدرس والعامل والمهندس والصبى والمعلم والجندى والضابط والتاجر وزملائه والمذيع وأقارنه والعامل ورفاقه حتى لو كانوا أبناء بلدته .. إلخ.

ليس الفقر الذى يعانيه المصريون فى بلادهم كما قيل هو سبب فى ظاهرة تصارع المصريين فى الخارج التى حار فيها كما سبق أن قلنا القاسى والدانى بل هو التراث المملوكى الذى يورث كما تورث الملامح وألوان البشرة. والملاحظ أن ظاهرة الصراع فى

بلاد الغربة بسبب غير واضح غير ظاهرة للعيان فى البلاد التى ينعدم فيها التراث المملوكى أو يقل حتى لو كانت فقيرة، فالملاحظ أن هذا التصارع فى بلاد الغربة غير واضح لدى التجمعات السودانية بل إن السودانيين فى الغربة يشكلون تجمعات قوية لها طابع وطنى رغم تباين القبائل وتعددها والأمر نفسه بالنسبة للتجمعات الموريتانية والبربرية الجزائرية والمغربية وإن كان ملحوظا فى التجمعات السورية وتجمعات شمال العراق ويلاحظ أن التجمعات التاريخية _ أن يكونوا جاليات لها طابع مصلحى ضد مصالح كل الجاليات الأخرى وعملوا جميعا على نقل الأخبار لكل سلطان، والاختباء تحت عباءة كل سلطان والتقليل من شأن كل سلطان لدى السلطان الآخر، وقد يكون هذا محورا لكتاب آخر عن تأثيرات التراث التاريخى أو ما أسميه الاجتماع التاريخى الذى يدرس تأثير أهم الظاهرات التاريخية التى عايشتها مجموعة من الناس فى مسلكهم العام. أظن أننى أثير هنا نقاطا جديدة فى علمى التاريخ والاجتماع على سواء.

لا يمكن تفسير صراع المصريين فى بلاد الغربة بما يسمى غيرة المهنة " وعدوك ابن مهنتك "مثل شعبى، وإن كانت صياغة المثل فيها كثير من المبالغة فالعلاقات بين أبناء المهنة الواحدة قد تحكمها المنافسة أكثر مما تحكمها العداوة وفى مجتمع لا تحكمه القيم المملوكة تصبح غير المهنة خيرا خالصا فهى تؤدى إلى تجويد المهنة وإتقانها وتبث روح المنافسة فتستفيد الحركة الصناعية والتجارية ويستفيد أصحاب المهن ويسعى كل منهم لتجويد صناعته ويستفيد المستهلك أو المشترى لأنه سيريح فى النهاية بضاعة خالية من العيوب، أما فى المجتمع الذى تحكمه القيم المملوكية فإن الفاصل بين الغيرة والحسد والحقد يختفى تماما، ليصبح النصر لمن يجيد الدسائس المملوكية بمسمياتها المختلفة من "دبوس " إلى " مهموز " إلى " بعبـ.... " والكلمة الأخيرة ناقصة كتابة، مفهومة معنى

ولفظا . وقد يحرق الفلاح إن استطاع حقل جاره الأجود زرعا، إن استطاع وأمن العاقبة. فهذا أيسر من أن يجود هو زراعته، وقد يسرق موظف ملف زميله المتفوق، وقد يتحالف الموظفون المماليك الضعفاء أو غير الناجحين ضد زميلهم المملوك القوى لإلغاء عقده أو طرده من بلاد الغربة مصحوبا بفضيحة وهكذا يمضى المماليك فى هدم كل نجاح حقيقى لأحد زملائهم فهذا أيسر لهم من تحقيق نجاحات خاصة بهم .

فالتراث المملوكى عبر العصور يتلخص فى إتقان فن الصراع وفن التكتل ضد المجموعات الأخرى وفن الاستقطاب ولم يظهر فى التاريخ المملوكى مملوك مهندس كبير أو مملوك مفكر كبير أو مملوك فنان كبير وإن كان قد عمل تحت إشرافهم ولخدمتهم مهندسون وفنانون وعلماء .. الخ

يقول المثل المصرى " ولا وحدانى يكيد رجال "والوحدانى هنا هو الفرد الذى ليس له عزوة، والعزوة بضم العين وفتح الواو هى العصبة أو الجماعة. ويقولون أيضا " سافرت سفر يا زعلوك بحسبك تكيد الملوك لكن رحت خره وجيت خره فألف حمد الله عالسلامه " أى أن الزعلوك وهو قليل الشأن سافر سفره أى سفرا وكان الظن به أنه سيحقق فى سفره هذا نجاحا ولكنه سافر قليل القيمة " خر وهو البراز " وعاد كما جاء.

وفى مجتمع المماليك العبيد البيض فإن هذا صحيح تماما فالفرد بمفرده ليس له قيمة كبيرة أنه لا يستطيع أن يواجه جماعة المماليك الآخرين إلا بمن معه من المماليك سواء الذين تربطهم به صلة التبعية لأستاذ. الأستاذ هنا بالمعنى المملوكى السابق شرحه فى الفصول السابقة أو الذين اشتراهم العبيد. ويلاحظ أن طبيعية اجتماع هذه التكتلات تتسم بطابع آلى وقتى فالإحساس بالمساواة فى العبودية كلنا عبيد أو كلنا مسنا الرق تجعل كل مملوك يتحين الفرصة للسيطرة الفردية بالمعنى الأوروبى والتى أدت إلى مردود

حضـارى جيد لا تكاد توجد فى المجتمعات ذوات التراث المملوكى فالشخص العادى حتى الآن يكون حريصا ألا يذهب لقسم الشرطة بمفرده وإنما يحرص أن يأخذ معه جماعة أو عصابة أو أحدا من أهل الحته أو أن يذهب مدعما بكارت من عميد الشرطة أو عقيد وحبذا لو كان لواء فهو كفرد يحس أن لا قيمة له وأن ذهابه لقسم الشرطة مسألة غير مأمونة العاقبة ومن ناحية أخرى فإن طرف الشرطة يضع ذلك فى اعتباره أيضا فغالبا ما تؤدى التجمعات إلى الإفراج عن شخص ما أو تأجيل معاقبته .. إلخ . ولا يلقى أفراد الجاليات المصرية من سفارات بلادهم العون الكافى لاسترداد حقوقهم إن كانت لهم حقوق فى البلاد التى يعملون بها اللهم إن كانت ذلك فى حالات فردية سلطت عليهم الأضواء أو وقعت تحت وسائل الإعلام وقلما يحدث هذا فى سفارات أخرى إلا فى السفارات التى تمثل دولا يحمل تراثها حملا مملوكا.

لقد اتفقنا أن الفردية فى التراث المملوكى تعنى أننى وحدى محور الكون وأن تحالفاتى مؤقتة وأن السلطان ليس أفضل منى وأننا جميعا عبيد ونحن كلنا أولاد وأن مفيش حد أحسن من حد وأن ليه ميكنشى لى الكوم الأكبر.. إلخ، ومن ثم فإن هذا المنطق نفسه هو السائد لدى رجال أو نساء سفارة المماليك من السهل إذن على المملوك العامل فى السفارة أن يبيع مصالح الحقوق أى من المماليك الآخرين بسلطان البلد المضيف إنه يفعل ذلك وهو مقتنع تماما بأنه لا يأتى بتصرف معيب فإن قبض مالا فتبريره أن هذا المال ماله إلى مصر فهو نفسه مصر وإن أقنع صاحب العمل بإحلال أقارب له بدلا من هذا الشاغب أى أقارب لمملوك السفارة فليس فى الأمر شىء لقد أحل مصريا محل مصرى. وعندما أثرنا أمام أحد المسئولين أنه يخص أقاربه وجماعته كان رده أليسوا مصريين ؟! إنها المصرية أو الوطنية فى التراث المملوكى، تراث العبيد البيض الذين أصبحوا حكاما..

يلاحظ هنا أننا لا نوجه نقدا وإنما نقوم بعملية تشخيص أو تفسير لظواهر موجودة فعلا مع اقتناع كامل أن النقد أو الوعظ أو الإرشاد لا قيمة له البته ويكفى تعرية الأمور وتوضيحها وتوجيه الاهتمام لعلم الاجتماع التاريخى أو التفسير التاريخى للظواهر الموجودة بالفعل هذا يمهد السبيل بلا شك لإصدار القرارات وإعداد التنظيمات المناسبة والتى تقلل رويدا من هذا الأثر التاريخى المتغلل إن كنا نريد أن يكون لأى تشريع أو قانون قيمة وأرجو أن يكون هذا هو موضوع الجزء الثانى من هذا الكتاب.

هل المصرى ـ حقيقة ـ قليل القيمة أو لا قيمة له؟

يسمع المرء كثيرا فى بلاد الغربة من المصريين أنفسهم عبارات على شاكله " ماذا نفعل المصرى أصله رخيص.. وسمعت من أستاذ جامعى يقول ناصحا أحد زملائه " لا تتمسك كثيرا فالمصرى لا قيمة له قد يكون هذا القول خطأ بل إنه بالفعل كذلك لأن هناك شعوبا أفقر بكثير من المصريين ولا يعاملون المعاملة نفسها فى الخارج وتدافع عنهم سفاراتهم بالحق أحيانا وبالباطل أحيانا أخرى .

ومن ذلك أن مدرسا تابعا لدولة عربية وليكن اسمها " ع " كان يعمل فى الجزائر ثم ضاجع طفلا فى المدرسة الابتدائية التى يعمل بها أى أتاه أى لاط به وتم اكتشاف أمره فقررت حكومة البلد المضيف _ بعد التحقيق معه _ أن تطرده من البلاد وهذا أبسط إجراء لكن البعثة التعليمية التى يتبعها هذا المدرس اللواط ثارت وقررت أنه إذا تم ترحيل هذا المدرس اللواط أو اللوطى فإنها جميعا سترحل معه .. إن المسألة إذن ستتحول إلى أزمة وبقى المدرس اللوطى حتى أتم عامه ثم رحل إلى بلده العربى باختياره فى الظاهر على الأقل .

الكتاب إذن يفجر قضايا ويلقى ألغاما ويثير غما ويحرك غماما .. وهذا ما أريد أن أضع يدكم عليه على جروحنا لنعرفها ثم نداويها ..

أنا متضامن مع آراء هذا الكاتب الذى لا أعرفه والذى هو غير معروف أساسا ..

لكن حقا يبدو أن المسألة فيها مماليك وإلا لماذا كل هذا الخنوع والخضوع والتفتت ؟

قد تسألنى لكننا لم نكن كذلك فى أوقات كثيرة !!

أقول لك خلاص مماليك أم غير المماليك السبب ليس مهما سأتخلى عن تضامنى مع كاتب هذا الكتاب فورا ومؤقتا وأسألكم .

■■■

ما تبقى من آثار الرسول ﷺ في القاهرة

كان سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ حين يقبل الحجر الأسود فى الكعبة يهمس بينما يسمعه الجميع «والله لولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك».. إن سيدنا عمر يدرك أن الحجر مجرد حجر .. لكن أهميته ودلالته الدينية جاءت من قبلات النبى (صلى الله عليه وسلم) لهذا الحجر.

وسيدنا عمر هو نفسه الذى قطع الشجرة التى بايع عندها الأنصار سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم).

لماذا ؟

لأنه رأى أن الناس بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) صارت تتبرك حتى التعبد فى هذه الشجرة وتتجمع عندها وتصلى حولها فرأى أن الأمر يشبه تشبها بوثنية فقطعها.

ومن هنا نشهد أن تعامل سيدنا عمر بن الخطاب مع آثار النبى (صلى الله عليه وسلم) وما تبقى منها من أثر مادى دال على وجوده هو التعامل الأمثل الذى يحترم هذا الأثر ويقدره ويوقره لكنه لا يغلو فى التبرك والتعبد له بما يجنح عن العبودية الحقة ولهذا أيضا عندما نسأل أين آثار النبى (صلى الله عليه وسلم)؟ فإننا نسأل من هذا المنطلق .. وعندما نبحث عن آثار النبى (صلى الله عليه وسلم) فإن بحثنا لله وفى الله ..

بحثا عن العبرة والتاريخ والعظة والتفكر والتدبر فى سيرة سيد الخلق وليس أبدا بحثا أو سؤالا من أجل كرامات ومعجزات انتهى زمنها ولا تصح عبودته ولا يمكن إعاناته لذلك

انظر إلى الروايات المصاحبة لآثار النبى (صلى الله عليه وسلم) وقد امتلأت بالأساطير والمعجزات فاحذر من تصديقها والتسليم الفعلى بها هكذا دون مناقشة، خذ عندك ما يرويه صحيح البخارى فى كتاب اللياس باب ما يذكر من الشيب رقم ٥٨٩٦ .. عن إسرائيل عن عثمان بن عبد الله بن وهب قال : أرسلنى أهلى إلى أم سلمة زوج النبى (صلى الله عليه وسلم) بقدح من ماء وقبض إسرائيل ثلاث أصابع من قصة فيها شعر من شعر النبى (صلى الله عليه وسلم) وكان إذا أصاب الإنسان عين أو شىء بعث إليها مخضبة فاطلعت فى الجلجل فرأيت شعرات حمراء.. ويمضى الشارحون والمعلقون على هذه الرواية بقولهم " الواضح أن السيدة أم سلمة - رضى الله عنها - كان عندها شعرات من شعر النبى (صلى الله عليه وسلم) محفوظة للتبرك وكانت معروفة للصحابة فإذا اشتكى أحد منهم أو من أبنائهم أرسل إناء إلى السيدة أم سلمة فتجعل فيه تلك الشعرات وتغسلها فيه وتعيده غشيرته صاحب الإناء أو يغتسل به ..

وفى هذه الروايات وغيرها تشم رائحة التأثر بالديانات الأخرى التى تشترك فى كون وجود ماء مقدس تماما كما تنتشر الروايات المستندة إلى أحاديث نبوية حول قداسة ماء زمزم وبركته وشفائه للأمراض وهى روايات إن صحت فقد وجد الناس المسلمون وغير المسلمين العلاج الشافى من كل أمراض الدنيا وهو ما لم يحدث ولن يحدث .

والأمر كله حصيلة التبرك والتقرب إلى الله.. وقد بالغ المسلمون فى كتابة قصص معجزات الرسول (صلى الله عليه وسلم) حين وجدوا الديانات الأخرى وقد رأت معجزات شتى من إحياء الموتى إلى الكلام مع الله.. ويبدو فى هذا التسابق الغريب على الامتيازات الخاصة لكل دين أن بعض المتطوعين سارعوا لخدمة وجه الله تعالى وأبدعوا فى قص معجزات للنبى (صلى الله عليه وسلم) مما يمحو آثار المعجزات الأخرى .

وأظن أن حسن النية والرغبة الجامحة فى الدعاية الدينية وراء هذه التحليلات التى لا أرى لها مبررا ولا لزوما بل إن آثارها الجانبية مضرة وضارة فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.. ليس الأمر فى حاجة إلى معجزات حتى يتحرك القلب الحجر أو العقل المتحجر بل هو إيمان وهداية ثم إن المعجزات تأتى لتقوى الإيمان أو التسليم لله ولنبيه وهذا اعتراف فى الحقيقة بالضعف.

أما حكاية أن القرآن معجزة الدين الإسلامى فهذا خلط بين الرسالة والمعجزة. فالقرآن الكريم رسالة الله أو الإيمان القلبى به إنه رسالة تحمل كل آيات الحكمة والرحمة الربانية والقوانين الأخلاقية الحاكمة لأمور خلق الله ثم إن الوحى نفسه معجزة فنزول جبريل على نبى فى الأرض ما هو إلا معجزة على طريقة البحث عن المعجزات التى تشغل الكثيرين.

المعجزات ليست خناقة كى يمسك كل دين بكتف صاحبه ليؤكد أنه الأفضل .. فالمعجزات وسائل إقناع وإبهار وتحريك قلوب أما الرسالات فهى شىء آخر أقوى وأعمق وأعظم ومن ثم فالسعى الحثيث فى صدد الكلام عن معجزات النبى (صلى الله عليه وسلم) النبوية فى حاجة إلى مراجعة حقيقية، وأرجو ألا يكون الحديث عن آثار النبى مدخلا للمعجزات ...

لكن ما هى آثار النبى (صلى الله عليه وسلم) وأين هى بالضبط.

الكتاب الذى وقع فى يدى مؤخرا دفعنى للبحث فى هذه القضية، والكتاب هو «آثار رسول الله (صلى الله عليه وسلم)» صدر فى القاهرة وجمعه د. خالد مصطفى لتكشف أن الآثار النبوية تشمل ما بين الرسائل والقمصان والعصى والخواتم وآثار الأقدام .. والسيوف .. وإذا كنا نهتم بكل مبدع مشهور معروف إذا توفى بأن نجمع آثاره أو نجعل

عن بيته مزارا لنرى آثاره هنا كتب وهنا لبس وهنا فكر .. فمن باب أولى أن شخصية عظمى فى تاريخ الإنسانية والبشرية جمعاء غيرت وبدلت ونورت الوجود فهى تستحق تلك الشخصية ألا وهى شخصية النبى محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، تستحق السعى إلى آثارها.

ومن الجميل والبديع أن أهم آثار النبى (صلى الله عليه وسلم) توجد بيننا .هنا .. فى القاهرة .. فى الحسين حيث المشهد الحسينى والمسجد الحسينى ..

نعم..

فالآثار النبوية معظمها فى القاهرة، ولماذا إستا نبول ..؟ السؤال بدهى والإجابة جاهزة ..

دعنا نقل أولا إنه من الصعب العثور على كتاب جامع مانع يحمل رحلة هذه الآثار النبوية من المدينة المنورة إلى ما آلت إليه ووصلت عنده .. كيف خرجت من البيت النبوى .. وتوزعت وتفرقت؟ لا توجد كشوف تاريخية بذلك ولا وثائق كاملة مكملة هنا بحوث يسيرة لكن يبقى الأمر محلا للبحث والتحرى ..

يقول د . خالد مصطفى فى كتابه: ولم يورث النبى (صلى الله عليه وسلم) درهما ولا دينارا ولكنه ترك ثروة عظيمة من المخلفات النبوية الشريفة من أدوات وأمتعة وثياب وآنية وخيل وركاب أخذت منها أمهات المؤمنين ما كان فى بيوتهن وإلى بعض المخلفات إلى أهل بيته (صلى الله عليه وسلم) وإلى الصحابة المقربين الذين أهداهم النبى (صلى الله عليه وسلم) بعض هذه المخلفات فى حياته ثم انتقلت الآثار الثمينة بالميراث والإهداء إلى إيذاء الصحابة فالتابعين وحصل خلفاء الدولة العباسية على تجميعها والاهتمام بها وجعلوا البردة والقضيب من شارات الخلافة العباسية ثم تفرقت المخلفات الشريفة فى

البلاد الإسلامية وجمع سلاطين الدولة العثمانية ما استطاعوا منها بعد احتلالهم للدول العربية والإسلامية.

أما د سعاد ماهر عميدة كلية الآثار الأسبق فتقول فى بحث لها عن سيف النبى (صلى الله عليه وسلم) مجلة كلية الآثار يناير ٧٦: ومن المعروف أن بعض الآثار النبوية ومخلفات بعض الخلفاء والصحابة محفوظة فى متحف طوب قابو سراى فى استانبول.. ويعلق على ذلك عبد الرحمن زكى فيقول: ولا ندرى مدى احتمال نسبها إلى أصحابها.. هنا يجب أن ننتبه إلى أن البحث التاريخى وتوابعه على درجة بالغة من الأهمية والخطورة حتى نتيقن من حقيقة هذه الآثار ومدى نسبها للنبى (صلى الله عليه وسلم) وخاصة أن التاريخ الإسلامى امتلأ بصراعات النفوذ والنسب والقوة، وكانت آثار النبى (صلى الله عليه وسلم) وصحابته فضلا عن ادعاء الانتساب إليهم شيئا أقرب إلى التزوير منه إلى الحقيقة أحيانا ..

المهم نعود للدكتورة سعاد ماهر لتكمل لنا: أما عن كيف وصلت هذه المخلفات إلى تركيا فيقول بعض مؤرخى الدولة العثمانية إن تلك الآثار كانت عند أمراء مكة وقيل إن الشريف بركات أمير مكة بعث بها إلى السلطان إلى الآستانة وذهب فريق آخر من المؤرخين إلى القول بأنها كانت لدى الخلفاء العباسيين الذين كانوا بمصر فتسلمها السلطان سليم من المتوكل على الله محمد بن يعقوب آخر الخلفاء العباسيين بمصر .

أما وصول ووجود الآثار النبوية الموجودة بالقاهرة والتى أجمع كل من كتب عنها من المؤرخين على أنها كانت عند بنى إبراهيم بينبع والتى قيل إنهم تلقوها والميراث عن أجدادهم الأولين فى أجيال متعاقبة تمتد إلى زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم) وفى القرن السابع الهجرى اشترى هذه المخلفات من بنى إبراهيم وزير مصرى اسمه الصاحب تاج الدين من بنى حنا ثم نقلها إلى مصر وبنى لها رباطا (مبنى يشبه تكية الصوفيين)

على النيل عرف فيما بعد برباط الآثار وسماه ابن دقمان بالرباط الصاحب التاجى، نسبة إلى الصاحب تاج الدين ويعرف الآن باسم أثر النبى.. ويحدثنا السيوطى فى القرن الحادى عشر الهجرى عن الرباط فيقول : ولم يزل الرباط عامرا مأهولا بالمصلين والزوار حتى تبدلت الدول واختلت الأحوال فنقلت منه الآثار الشريفة خوفا عليها من السراق وتغيرت معالمه بتجديد بنائه .

ويضيف المؤرخ ابن الطولون: إن السلطان الغورى بنى القبة المواجهة لمدرسته للآثار النبوية.. وقد نقل عنه على مبارك النص التالى: وبرز أمره الشريف بعمارة قبة معظمة تجاه المدرسة أنشأها بخط الشرابشين (الغورية فيما بعد) كما رتبها بنظرة الشريف ليكون فيها ما خصه الله تعالى من تعظيمها بالآثار النبوية وغير ذلك من مصاحف وربعات.

واستمرت الآثار النبوية فى مكانها حتى انتقلت بعد ذلك إلى مسجد السيدة زينب ـ رضى الله عنها ـ وبقيت به قليلا ثم نقلت بموكب حافل إلى خزينة الأمتعة بالقلعة واستمرت بها إلى سنة ١٣٠٤ هجرية ثم نقلت إلى ديوان عموم الأوقاف وفى السنة التالية نقلت إلى سراى عابدين ثم أمر الخديوى توفيق أن تنقل إلى المسجد الحسينى (مسجد سيدنا الحسين) فأعد لها مكانا فخيما وهو دولاب جميل الصنع واستمرت فى هذا الدولاب حتى أمر الخديوى عباس بإنشاء قاعة خاصة لمخلفات الرسول (صلى الله عليه وسلم) وراء الحائط الشرقى لمسجد الحسين .. حيث هى الآن ... لكن عندما تقرأ كتاب " أيام سليم الأول فى مصر " للكاتب حلمى النمنم ستجد نفسك مقتنعا بأن ما بقى فى مصر وذخائرها وما لخصه فى سطرين واضحين إذ قال "جاء سليم ليستولى على هذه المكتبات وينهب ما فيها من المخطوطات والمجلدات لينقلها إلى استانبول وهو ما يصفه حلمى النمنم " بتخريب الذاكرة العربية وسرقة تراثها " .

هل من بين هذا التراث آثار النبى (صلى الله عليه وسلم)؟

لم لا ...؟

عموما الحصيلة النهائية للآثار النبوية أو بالأحرى المنسوبة إلى النبى (صلى الله عليه وسلم) نجد أماكنها محصورة حسب إحصاء د . مصطفى حسن فى ١٣ مكانا لا تخرج عن استانبول والقاهرة ثم بعض المدن الأخرى تفرقت فيها بعض الأشياء قبل أن أقدم لكم تفاصيل هذه الآثار وإحصاءها أين نحن من آثار النبى (صلى الله عليه وسلم).

قلنا إنها ليست للتقديس ... لكنها للإجلال والاحترام .. وهى أيضا للاهتمام .

أين الاهتمام بها ؟

قطعا اللامبالاة تجاه كل آثارنا شىء يومى وسيىء .. لكن حتى الجانب الدينى المتيقظ فى قلوب المصريين والإيحاءات والدلالات الدينية التى لا يمكن أن تخطئها عين المعبرة لدى المصريين عن حب النبى وآل بيت النبى (صلى الله عليه وسلم) مع شروق وكثافة هذه المعانى فى قلوب المصريين إلا أن الساحة خالية من الاهتمام بآثار النبى (صلى الله عليه وسلم) والأمر لا يتجاوز بضع كلمات بين الحين والآخر فضلا عن برامج تسجيلية متعثرة متخشبة تعرض هنا وهناك لابد من يقظة روح الاهتمام بآثارنا وتاريخنا القومى، وإذا كنا فشلنا فى إزكاء هذه الروح على حق فها هى فرصة الاهتمام بالآثار النبوية فى القاهرة تفتح لنا مجالا جديدا وزخما آخر ودفعا متجددا كى نهتم معلنين ومبشرين ومهللين ومحتفين ومقبلين على آثارنا .. سواء كانت آثارا من عهد الفراعنة أو حتى آثارا من المخطوطات والوثائق

إن مشكلة مصر أنها تتحدث كثيرا عن حضارتها وهى تنسى أثناء كلامها أنها تدوسها بحذائها!

أمشي على جسر من الأكاذيب والحقائق

الذين يكرهون السادات شأن الذين يكرهون عبد الناصر يريدون إلصاق كل نقيصة به ونزع كل فضيلة عنه ولا يتورع الطرفان عن اتهام أى من الرئيسين بكل تهم الخيانة والعمالة وأنه كالعادة ودا البلد فى داهية، وأظن أنه ليس هناك أكثر من الأسباب التى يمكن أن تتهم وتنتقد فيها عبد الناصر والسادات وقد تجد لكراهيتك أسباسبا ولها أيضا صدى لكن المأساة المصرية الصميمة فى حياتنا أننا نحب ونكره زعماءنا بينما الواجب على الأقل بين أهل الكتابة والمعنيين بالتاريخ _ ألا نحب ونكره بل نلغى الكراهية والحب والعواطف الإنسانية من مناقشتنا لأى زعيم سياسى، فالحب والكراهية قادران على تشويه تقديرنا وتشويش تقييمنا، ثم إن دخول عبد الناصر أو السادات موقع الحبيب الذى يتكئ على أن مرآة الحب عمياء يدفع بالبعض إلى التطرف فى العشق (والعشق كما تعلمون غلاب .. وقلاب).

وكانت ولا تزال حرب أكتوبر موضعا للنزال بين محبى عبد الناصر كارهى السادات وبين محبى السادات كارهى عبد الناصر يستخدم كل طرف كل ما يمكنه من أسلحة بدءا بالتشهير والولولة على هزيمة ١٩٦٧ حتى أن البعض يتشفى فى عبد الناصر وغير ذلك من أدوات الهجوم على عبد الناصر ومنها ما يوفرها زمنه لمعارضيه !!

أما معارضو السادات فإنهم إزاء حرب أكتوبر لا يملكون إلا أحد موقفين ... الأول الاعتراف بانتصار أكتوبر وفى هذه الحالة يسعون إلى تجاهل السادات ودوره والانتقاص

منه بل واتهامه بخيانة الحرب وتسليم الجيش للأمريكان أو لليهود وما إلى ذلك مما ستصادفه الموقف الثانى هو التشكيك أساسا فى حرب أكتوبر، وقد لجأ للموقف الثانى قلة دفعتهم العاطفة الحارة والحادة، أما الموقف الأول فيحظى بالشعبية الأعلى ويجد تشجيعا وجماهيرية لدى معارضى السادات بل ويكاد الموقف الرسمى الناصرى دائما واليسارى أحيانا والإسلامى بعض الوقت من دور السادات فى حرب أكتوبر .

والمشهد كله تعبير عن الهوى الذى يحكم ضمائرنا تجاه تاريخنا كله (...)

المشكلة أن أحدا لا يريد أن يقتنع بأن اعترافك (اعترافى أنا مثلا) بأن السادات لعب دورا عظيما وقائدا فى حرب أكتوبر وأنه نصر ينسب إليه دون ذرة شك وبلا تردد وبكل إيمان كامل مستند وإدارته ونتائجه كانت البطولة الخاصة لأنور السادات ومع كل هذا الاعتراف التفصيلى الذى يضبطنى متلبسا فإننى أرى كذلك أنه لم يفسد السادات شئ قدر ما أفسدته حرب أكتوبر وجعل منه هذا الانتصار ديكتاتورا كبيرا وفرعونا مغرقا فى الانفراد بالقرارات والحكم بل هو نفسه الذى قال عن نفسه وعن عبد الناصر معه : أنا وجمال آخر الفراعنة العظام (...)

لقد شعر أنه أتى بما لم يأت به الأوائل وهو الوحيد الذى انتصر على إسرائيل ومع ذلك عارضه وعانده اليسار(والعجيب أن السادات كان أكثر زعيم مصرى فى اعتقادى يولى اهتماما للمعارضة بل وتشغل باله طوال الوقت بما فيها الجلسات الفارغة التى ينتقد فيها الرؤساء ويهتم به) وولدت هذه المعارضة والمعاندة لدى اليسار تطرفا عميقا عند السادات فى الاتجاه الآخر من الاستعانة والعناية بالجماعات المتطرفة التى أدت إلى خراب نفسى وسياسى فى الوطن لم يعد أحد فى حاجة إلى تأكيده ثم هذا الاندفاع الأهوج تجاه الغرب ثم تجاه إسرائيل ورغم أن انتصار أكتوبر هو اللحظة التاريخية المنيرة

فى حياة وحياة السادات وهى أنبل أيام أنور السادات وأجملها وأعظمها إشراقا إلا أن الرجل أظلمها بعد ذلك وأعتمها كثيرا ولكن مهما كان موقفك منه فإن ذلك لا يجب أن ينسحب على حرب أكتوبر التى لا يصح أن تكون حربا تافهة لمجرد أن جمال عبد الناصر لم يكن بها (...) أو لا يصح أن يكون السادات قائدا هشا لمجرد أن عبد الناصر كان صاحب خطة أولية للحرب (..)

تعالوا نناقش بأمانة كل ما يقوله معارضو السادات عن السادات فى حرب أكتوبر ... فقط أنا لست مسئولا عن إقناع عشاق ومغرمين بعبد الناصر أو بالسادات يكفينى فقط محاولة إقناع قراء !!

نبدأ بحكاية الخطة !

«جرانيت» إياها التى يصر معارضو السادات وخاصة من الناصريين على أن يصوروا السادات منفذا مرتبكا مذعورا لحظة حربية عظيمة وشجاعة وضعها جمال عبد الناصر قبل وفاته تحت اسم " جرانيت " كان هدفها تحرير كامل تراب سيناء (..) وبطبيعة الحال فإن هناك أدخنة كثيرة تمت تعبئتها فى الجوكى تضلل الناس عن الحقيقة وفى صراع محموم بين عبدة عبد الناصر من ناحية وعبدة السادات من ناحية أخرى اختلط الأمر كل يحاول تمزيق وجه الآخر بالطعن والطعان.

هنا نتكلم فنقول:

١ ـ رؤساء الدول لا يضعون الخطط العسكرية.. هذا ما يجب أن نعترف به بداهة فواضعو الخطط هم العسكريون فى غرف ـ ـمليات وميدان الإعداد العسكرى هم الذين يجمعون المعلومات والبيانات وتقدير المواقف وتدابير الأمور والتوازن فى القوى وينتهون

إلى خطة صحيح يناقشها ويباركها الرؤساء لكنهم فى النهاية لم يضعوا فيها شيئا فلا عبد الناصر ولا السادات وضع شيئا .

٢ ـ أن خبرة عبد الناصر والسادات العسكرية ليست خبرة تستدعى الثقة العالية حقيقة فى كونهما عسكريين يملكان بعد النظر وقوة الحجة أو يملكان براعة فى شئون العسكرية ومدارات الحروب .

باستثناء أن خبرة عبد الناصر كانت فى حصاره (...) فى الفالوجا وهى لم تكن كفاءة عسكرية بالقدر نفسه التى كانت به كفاءة وطنية رائعة ومدهشة فهو بعد ذلك مدرس ينظر للطلبة ولم يكن أحد مثلا يتوقع له أن يكون روميل فى يوم من الأيام ثم إن تجربتى حربى ٥٦، ١٩٦٧ للأسف لم تكونا لتشفع فى قدرات الرجل العسكرى.

أما السادات فالوضع كان أسوأ فهو تقريبا وعمليا لم يكن جنديا بقدر ما كان سياسيا. اشتغاله بالأعمال المدنية أثناء هروبه أكسبه خبرة ودراية بالسياسية والناس والمجتمع وسحب منه فى الحقيقة أى كفاءة عسكرية فماذا كنت تنتظر!!

أريد فقط أن أنبه أى صياد هنا إلى أن الماء ليس عكرا إلى هذا الحد. فالخبرة أو الجدارة العسكرية لا يعيب نقصائها الزعماء فهم ساسة بل ليتهم كانوا ساسة فقط ونزعوا عنهم البزة العسكرية حقيقة !

٣ ـ المطلوب دائما من الرؤساء هو الغطاء السياسى أو إعداد الجانب السياسى الذى يؤهل العسكر للاستعداد للاحتمال ولم يكن قبول عبد الناصر لمبادرة روجرز إلا دورا سياسيا فى خطة عسكرية ولم يكن طرد الخبراء السوفييت وقد يكون هذا بمثابة المفأجاة للبعض إلا دورا سياسيا فى خطة عسكرية .

٤- نأتى إلى الخطة نفسها " جرانيت ":(هل كان لاختيار الاسم علاقة بشق جرانيت جبال أسوان لبناء السد العالى.. لقد ترك عبد الناصر خطتين وليس خطة واحدة الأولى جرانيت وقد وضعها الفريق عبد المنعم رياض وهى خطوط استراتيجية عريضة وليست تفصيلية ترتكز على عبور قناة السويس بخمس فرق والتمسك برؤوس كبارى على الضفة الشرقية . أما الخطة الثانية فهى " خطة ٢٠٠ "وكانت دفاعية فى الأساس وضعت فى اعتبارها احتمال قيام إسرائيل بهجوم مضاد إلى غرب السويس إذا تمكنت القوات المصرية من عبور القناة إلى الشرق (كأنها تتنبأ بالثغرة) هل لاحظت معى أن الخطتين لم تكون حربا شاملة ولا تحريراً كاملا للأرض ولا وضعت فى ذهنها وتصورها أننا سنرمى إسرائيل فى البحر (...)

٥ . الخطة التى وضعها الفريق محمد صادق بعد تولى السادات الحكم هى " جرانيت ٢ " وهى تطوير لخطة عبد المنعم رياض بل وكانت أكثر طموحا وسعيا لحرب أكثر توسعا من طموح الخطة الأولى فقد وضعت العبور أساسا إلى الضفة الأخرى ثم الوصول بقواتنا إلى مضايق سيناء لتجعلها نقطة ارتكاز ومن هناك يجرى تحديد قرار استكمال حرب واسعة (كان هذا طموحا أيضا أكثر مما أعتقده كثيرون بمن فيهم السادات نفسه .

٦ . هذا عن الخطة فماذا عن العسكريين؟ لقد عمل الفريق محمد فوزى مع عبد الناصر والسادات لفترة وعمل كذلك الفريق محمد صادق ثم الفريق (المشير فيما بعد) أحمد إسماعيل والفريق سعد الدين الشاذلى واللواء (المشير فيما بعد) عبد الغنى الجمسى ... هؤلاء الذين أعدوا للحرب وعلى رأى الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل (وبالمناسبة مرجعى الرئيسى فى هذا الموضوع هو كتابه الفذ عن حرب ٧٣ " السلاح والسياسة") لم يكن هؤلاء عباقرة فى علم الحرب، من طراز كلاوزفيتر ولاكانوا أساطير

فى قيادة القوات من طراز نابليون وإنما أنسب طراز من القيادات العسكرية يمكن آن يمكن متاحا لبلد فى ظروف مصر ... صحيح إذن عندما تضع نفسك مكان السادات أو عندما تقرر أن تضع ساقا على ساق وتحكم عليه أنه استغل خطة عبد الناصر أو أنه لا دور للرجل فى حرب أكتوبر برجاء التكرم بألا تصل كراهيتك للسادات إلى الحد الذى يفصل بينك وبين هذه الحقائق الأساسية .

ننتقل إلى قصة الحرب المحدودة وأظنك وصلت معى فى السطور السابقة إلى أن عبد الناصر الذى يستند معارضو السادات إلى إعداده لحرب شاملة لم يكن بعد حربا شاملة أبدا ... ولم يكن محسوبا على الإطلاق أننا سنصل إلى تل أبيب بالدبابات، ثم هناك سؤال مهم جدا فى هذا الصدد : هل كان يمكن أن نصل إلى تل أبيب أو على الأقل إلى رفح ولكننا لم نوافق أو إن لم يوفق؟ تعالوا أولا نحضر معا هذا الاجتماع. اجتماع المجلس الأعلى بالقوات المسلحة فى بيت السادات بالجيزة يوم ٢ يناير ١٩٧٢، ولنتسمع مقاطع من حوارات القادة الذين التفوا حول السادات اللواء محمد على فهمى قائد الدفاع الجوى .. مشكلة الدفاع الجوى حاليا أنا عاوز أحارب حربا هجومية بأسلحة دفاعية كل الثقل فى التسليح عندنا كان منصبا أساسا على الدفاع الجوى على أساس صد العدو عن النفاذ إلى العمق بتاعته .... لواء سعيد الملحى قائد المدفعية : أنا كمصرى واحنا كقوات مسلحة مصرية لدينا إمكانيات لا شك فيها ولدينا القدرة على القتال ولازم نأخذ مخاطر محسوبة.. لواء على عبد الخبير قائد المنطقة المركزية : عندنا مشاكل فى فتح الثغرات واللى عندنا هو وسائل تعتبر بدائية وأنا متأسف أقول الكلمة دى.. لواء أحمد ثابت: أنا عاوز أتكلم فى النقطة اللى بعض الإخوان إتكلموا فيها، وهى أن نعمل أى شئ بالإمكانيات الموجودة معنا .. لازم نتذكر أنه فيه توقيتين رئيسيين فى الحرب : بداية العمليات نحن قادرين على تحديده إنما التوقيت الثانى متى وأين أنهى العمليات هو المطلوب عسكريا :

أن أنهى العمليات بفرض إرادتى على الجانب الآخر بتدميره إنما إذا أنا أتيت فى نصف المهمة ووصلتنى إمكانياتى إلى حد معين طيب إزاى أفرض على العدو أن يقف.. الرئيس السادات: أنا عايز حلول مش عايز الكلام الكلاسيكى .. نحن لسنا قاعدين فى البنتاجون مثلا دا يقول أنا عايز إمكانيات ودا يقول ناقصنى إمكانيات أبدا إحنا مش فى البنتاجون إحنا هنا قاعدين فى القاهرة على شاطئ النيل فى كورنر" ركن " ومزنوقين كده وأنا أتفق مع الأخ اللى إتكلم الأخ سعيد الماحى اللى قال إن إحنا عندنا إمكانيات بس إتعودنا باستمرار نطلب الأقصر ودا لازم ودا قال ودا عاد فى سؤال بيطرح نفسه إلنهارده بدأ فى الجامعات فى ناس يمكن بيعوده لكن جايز يكون له رنين بعد فترة فيه سؤال فى الجامعات أين ثورية المعركة وأين الحسم فى المعركة وأين وأين وإحنا لن نتساوى مع إسرائيل بعد خمس سنين.. ولا بعد عشر سنين اللواء سعد الشاذلى: هو مما لاشك فيه يا أفندم وبرغم النواقص فإن القوات المسلحة قادرة على أن تقوم بعمليات محدودة نطلع من هذا بإيه ؟ نطلع منه أننا لم نكن فى البنتاجون فعلا وأن الذى كان يتصور وجود حرب شاملة كان يتحدث عن وهم لم يصدقه لا جمال عبد الناصر ولا أنور السادات .

لقد كانت قواتنا العسكرية فى وضع غير متفوق بل فى وضع دفاعى (هذه شهادات القادة وقتها الذى لا يمكن على وجه الإطلاق التشكيك فى وطنيتهم أو أنهم ساسة أو أنهم لم يكن على قدر من شجاعة الحرب بل العكس هو الصحيح .

وثبت من هذه اللقاءات والاجتماعات العسكرية أن السادات رغم ما به من سياسية تنازعه الحرب ورغبة فى السلام ـ أحيانا مهما كان ثمنه إلا أنه كان يعلم وكان يريد أن تكون هناك حرب لأنها استجابة لإرادة شعبه (ولم يمنع الأمر أن ينخر اليسار كلمتين فى عظمه) بل إن المتتبع لزيارات السادات لموسكو ولقاءاته بالخبراء والوزراء العسكريين هنا وهناك سيجد أن

مشكلة السادات الرئيسية هى الآتى (حسب نص كلامه أثناء مناقشته مع بريجنيف) : " كنت أريد أن تجعلونى خطوة بخطوة مع إسرائيل .. لكن الذى أراه أننا خطوتين وراء إسرائيل " ثم قف معى بين السادات وهيكل فى استراحة برج العرب حين قال السادات لهيكل إن جمال (يقصد جمال عبد الناصر) ذهب وتركنى مكتوف القدمين على شريط سكك حديد وإذا على جسد السد لمعرفة مدى الخطورة التى يمثلها الطمى على السد وعلى التوربينات ومدى تحملها، والتطوير المطلوب تنفيه لإنقاذه. وكان عدد من الخبراء الإسرائيليين المختصين بشئون الزراعة قد حضروا فى السبعينيات لكى يدرسوا الطبيعة الخاص ببحيرة ناصر الصناعية جيولوجيا .. ودراسة نقل الطمى إلى سيناء عن طريق ترعة السلام التى كانت من أحلام بيجن مع السادات وبالفعل قامت بعثة أمريكية إنجليزية مشتركة بالسفر إلى أسوان فى يولى ١٩٧٨ وأجريت عدة أبحاث على نوعية الطمى والأراضى التى قامت بحيرة السد باستحداثها .. رغم رفض وزارة الخارجية المصرية للبعثة إلا أن السادات سامحه الله أصدر أوامره لها بالسفر رغم تأكده من وجود الإسرائيليين ضمن البعثة .. ومن الطبيعى أن تقدم البعثة تقريرها إلى المخابرات المركزية الأمريكية والموساد عن طبيعة جسم السد والطبيعة المائية للبحيرة وكل ما يتعلق بالسد .. لنفترض أن حرب أكتوبر أعادت لمصر بدلا مما أعادته ضعف المساحة والمسافة ألم يكن هذا يعنى أيضا دخولا فى مفاوضات أم كنا سنكتفى بما أخذناه (وقد يضيع) وتركنا ما لم نأخذه (وقد يزيد)

٣ ـ المفاوضات لا تعنى هنا صلحا مع إسرائيل، أو انفرادا بالصلح معها، على الإطلاق فالمفاوضات تجرى فى العادة بين متحاربين وأعداء وخصوم .. ومن هنا أظن فكرة حرب التحريك هذه ليست سوأة ولا قلة أدب أو عورة " تقفش " فيها السادات متلبسا ..

دعنا نقل أنه لم يكن ممكنا أبدا إدارة حرب شاملة)أذكرك فقط بأمريكا وأذكرك أيضا بتوازن القوى وقتها الذى لم يكن يسمح بهزيمة منكرة لأحد (بما فيهم مصر) هنا

تخرج علينا أسطورة خطاب أنور السادات إلى هنرى كيسنجر يوم ٧ أكتوبر ١٩٧٣ " والذى اعتبره الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل علامة خطيرة وبداية تحول لا شك فيها فى إدارة الصراع كله " وربما ينتابنى إحساس أحيانا (أحاول أن أطرده فيعصى عن الطرد ثم يطرد متنمرا متلمصا) إن ملاحظات هيكل على هذا الخطاب كانت يمثل هذه المرارة والسلبية لأنه عكس خطابات كثيرة جدا وقتها _ لم يكتب بنفسه (!!) وأنه لم يعرف بأمر الخطاب إلا متأخرا ومفاجئا بعكس أشياء كثيرة وقتها كان يعلمها فى حينها بل كان يستشار قبلها كذلك . لقد وردت فى الخطاب عبارة عدها هيكل مثيرة للدهشة والاستغراب، و" شبط" فيها عشاق ناصر وهيكل وهى " أننا لا نعتزم تعميق مدى الاشتباكات أو توسيع مدى المواجهة " .. ويعلق هيكل " كانت أول مرة ربما فى التاريخ كله يقول فيها طرف محارب لعدوه نواياه كاملة " ولكن الدهشة والغرابة تنتابنى أنا أكثر عندما أقرأ تعليق هيكل، فالسؤال : هل يمكن يا أستاذ هيكل أن يصدق طرف محارب مهزوم ومفاجئ غروره مضروب وعظمه مكسور، هل يمكن أن يصدق نوايا المحارب الآخر ومرة واحدة نواياه كاملة (!!) هل تفعلها إسرائيل (وربما تكون بلهاء ساعتها) فهل يفعلها الداهية كيسنجر؟ هل يصدق كيسنجر .. هذا الرجل (السادات) الذى كان يقول عنه منذ أربع وعشرين ساعة أنه بهلوان سياسى فإذا به يضرب ضربته الموجعة هل يصدق رجلا بهذا التلون والتمسكن (..) أرسل ورقة باسم مستشاره وليس باسمه !؟ بل وهل كان السادات (وهو من هو فى الدهاء !) يعتقد أن كيسنجر سيصدقه هكذا من أول نظرة ومن أول خطاب وأن إسرائيل ستصدق (جولدا وديان ورابين وشارون ...) خطابا أرسله حافظ إسماعيل مستشار الأمن القومى ولم يكن حتى موقعا باسم الرئيس ولا موجها من شخصه ولا بصفته ثم إذا كان هذا خطاب المستشار الذى جعل إسرائيل تتنفس وتستعيد نفسها (رغم كل الضرب الحاصل فى الأيام الأولى من حرب أكتوبر) فماذا سيقول

كيسنجر وماذا ستحكى إسرائيل وتستنتج من خطاب الملك فيصل فى يوم ٧ أكتوبر نفسه باسمه وإلى كيسنجر وخطاب باسمه آخر فى نفس اليوم وربما فى نفس الساعة إلى نيكسون وجاء فيه " فإذا لم تهب الولايات المتحدة بردع إسرائيل عن التمادى تبدأ مرحلة الخطورة الفعلية عليه .. لقد وضعت المخابرات الأمريكية التقرير الذى قدمته البعثة الأمريكية التى زارت السد أمام القادة العسكريين الإسرائيليين وبه كل المعلومات اللازمة لدراسة أضعف النقاط فى جسم السد وأماكن الضرب الاستراتيجية .. إذا نشبت حرب بين مصر وإسرائيل .. وتشهد قواعد الصواريخ فى بئر سبع والنقب وايلات منصات صواريخ متحركة لعدد من الصواريخ.. تضع السد العالى فى مرماها ويصل مداها إلى ١٤ إلى ١٥ كيلو متر .. وأيضا القاعدة الجوية التى تقع فى شمال ديمونة والتى تم وضعها أساسا لحماية المفاعل الذرى الإسرائيلى "بديمونة" .. هناك سرب يتكون من ٣إلى ٦ طائرات طراز إف ١٦ س _ وإف ١٨ محملة بصواريخ من نوع خاص تسمى فى علوم التسليح باسم الصواريخ الحافرة .. وهى مجهزة لضرب السد العالى وبالتحديد ضرب بحيرة ناصر فى المناطق التى أمام السد حيث تقوم هذه الصواريخ بالحفر الدوار للوصول إلى الأساسيات المدفونة فى الأرض وتدميرها وتقوم إسرائيل بإحداث تغيرات فى نوعية هذه الصواريخ سنويا لكى تتناسب مع التطوير .. وقد أكد التقرير فى صفحة ٢٤٩ أن إسرائيل تقوم بإجراء تدريبات لطياريها وضباط الصواريخ الأرضية على مجسمات لها نفس خصائص السد العالى وبحيرة ناصر لتدمير السد بالإضافة إلى البعثات الأجنبية التى تحاول إسرائيل اختراقها لإثارة القلاقل فى نفوس المصريين تجاه السد والسعى لإحداث خلخلة فى التركيب البيانى للسد العالى بعملية نقل الطمى التى تقف ضدها الحكومة.

زعامة عبد الناصر
حقيقة .. لكن رئاسته
كانت مزورة!

يغضب الحزب الناصرى عندما نقول إن الحزب الوطنى وريث ثورة يوليو، ويرى فى ذلك تعديا عليه وعلى الحق وإنحاء الحزب الناصرى للحق ..فهو وريث فعلا لثورة يوليه لكن الحزب الوطنى وريث حقيقى وقوى لثورة يوليه، بل ربما يكون له من الأرث حظ الذكر الذى هو مثل حظ الأنثيين... فقط الحزب الناصرى طريقة التفكير، وورث الحزب الوطنى ما هو أهم أحيانا، إنها طريقة الحكم!!

تعودنا دائما أن نذكر محاسن موتانا لكن الحقيقية أن ثورة يوليه لم تمت، بل كأنها ثورة لا تريد أن تموت ومن ثم فمسموح ومشروع ومتاح أن نناقش الثورة دون خجل مهاجمة سكان القبور لا يزالون يحكمون مصر، عندك مثلا حسن البنا وقبره فى «الإخوان المسلمون» وقبر عبد الناصر مع الناصريين وقبر سعد زغلول مع الوفديين وقبر أحمد حسين مع حزب العمل وابنا حسين وغيرها من القبور التى تؤكد لك أن مصر كلها - حكومة وشعبا - بلد أضرحة من الأولياء إلى الزعماء

ما علينا ..

نعود للثورة..

وها نحن ندخل عامها الواحد والخمسين.. فإذا بهذه الثورة العظيمة التى حركت وطنا وأيقظت أمة وغيرت تاريخا وصنعت واقعا جديدا، إذا بها على الضفة الأخرى دمرت كما بنت، هدت كما صنعت، خربت كما طهرت(..) ولم لا؟ فهى ثورة وكل ثورة لها عيوبها القاتلة جنبا إلى جنب مع منجزاتها الضخمة ..

والحقيقة أنه يمكن ببساطة أن نزايد علة ثورة يوليه فى كل شىء بل ونحاكمها بما قدمت يداها ونحن نعلم يقينا أنها مذنبة هنا، ومخطئة هناك لكن الروح التى أود لها أن تحكم هذا المقال هى روح النقد الذاتى، تعالوا نناقش أمراض الثورة كأنها أمراضنا نحن ودون أن نتعالى عليها ودون أن نتربص بها ودون خصال الرجل " الدون " الذى يريد أن يهدمها وخلاص ! ليس مطلوبا هنا العقوبة للثورة بالحب أو الكراهية لكن المطلوب فهم طبيعة "الجنحة " أو التحقق من الجناية.

وأول أمراض الجنايات فى الثورة (وأنا هنا مرة أخرى أتكلم عن ثورة لا تريد أن تنتهى) هى فكرة نفى الآخر (!!) لقد اقتادت الثورة من أول جمال عبد الناصر وحتى أصغر مسئول شاب متحمس وقتها للثورة، اقتادت على فكرة نفى الآخر، بدأت بعدم القبول ثم انتهت إلى النفى التام(!!) وكأنه لا يوجد آخرون وخرجت علينا مصطلحات قدمت من صخر مثل: أعداء الشعب، الخونة، الرجعيين، خصوم الثورة . وبطبيعة الحال فقد كان للثورة أعداء وخصوم لكن الثورة رأت أن مواجهة هؤلاء أبرك أن تكون بالسجن(!!) ثم بالتشهير(!!) قد ابتدعت الثورة بأجهزتها فى مصر لأول مرة شكلاً مقنناً ومنظماً منهج " اغتيال الشخصية " (!!) بمعنى التشهير به والتجريس والهجوم عليه ولعنه واتهامه بكل التهم الممكنة حتى ينتهى به الأمر إلى الاغتيال المعنوى (والثورة والحمد لله لم تكن حمراء ولم تلجأ إلى الدم...!!).

المهم أن المحصلة هى التعامل مع الآخرين الذين هم ضدنا بأنهم خونة (بعد ذلك جاء المتطرفون الإسلاميون ليستخدموا نفس المنهج واستبدلوا كلمة خونة بكلمة كفرة .. وبعد ذلك كان الناصريون يهزأون بحكاية " القلة المنحرفة " والشرذمة القليلة " التى كان يصفهم بها السادات رغم أنها نفس منطق وتفكير ثورة عبد الناصر ونظامه) .

لقد انقسم مجتمع الثورة إلى السادة الثوار (بمن فيهم أبناء الشعب الحر الذى يغلى دمه حبا للثورة) وإلى الجانب الآخر الأعداء .. والأعداء أحيانا ما يكونون الشيوعيين ثم فى مرحلة أخرى الإخوان وهكذا .

دعك أيضا من استخدام أسوأ الأساليب البوليسية فى الاعتقال والتعذيب .. وأنا هنا لا يهمنى أن عدد المعتقلين أيام الثورة أقل من الآن مثلا، أو أن التعذيب كان موجودا ولا يزال، فقد قلت أن الثورة فعلا لم تمت كما لا يغفر القانون جريمة لأن هناك جريمة مثلا قد حدثت (!!) لقد تمت تربية الناس على أن " الآخر "ابن كلب وإذا لم تكن معى فأنت ضدى أو عدوى .. ثم إن من نقول عنهم أعداء للثورة لا يحق لهم أن يتكلموا أو ينطقوا أو يشاركونا الحياة إلا إذا تابوا .. تخيل إذا تابوا ..إن الاستتابة التى يطلبها المتطرفون من كتاب التنوير دليل على التوبة عن الردة هى نفسها التى سبق وطلبها السادة الثوار من الكتاب والسياسيين الأحرار كى يصدقوا أنهم " معهم " مع الثورة !! خذ عندك أيضا فكرة العزل السياسى الذى هو أخو العزل الصحى (!!) إن الثورة قررت أن هناك فسدة وأشرار لا يحق لهم الدخول فى المعترك السياسى، وبنفس المنهج وبنفس الأسلوب تمكن السادات أيضا من التخلص من الذين اخترعوا فكرة العزل .. وعزلهم بدوره(!!)

ويبدو أيضا أن فكرة نفى الآخر فى حياتنا صارت أكثر جثوما على الصدور عندما لجأت الثورة إلى التزوير .. طبعا كانت هناك حالات تزوير قبل الثورة على اعتبار أن المجتمع قبل الثورة لم يكن مجتمع أنبياء القدس،لكن المشكلة أن التزوير قبل الثورة كان حالة مدانة ومرفوضة رغم وجودها، وقضية للتشهير والاستجواب والرفض واللعن والنقد .. بعد الثورة تحول التزوير إلى ظاهرة .. ثم إلى عادة ثم إلى قناعة .. ثم صدق المزورين أنهم لم يزوروا وإن الناس اختارتهم فعلا ..

لقد كان لثورة يوليو شرف وفضل إدخال نسبة ٩٩,٩٪ إلى الساحة المصرية . وإذا كان البعض قد يستخف بهذه الجريمة يحاول أن يبرأ الثورة وجمال عبد الناصر تحديدا منها (وهو بطل ال ٩٩,٩٪ الشهير) فإننى فى المقابل أكاد أجزم أن وبال ووباء الـ ٩٩,٩٪ هذا هو سر نهاية المواطن المصرى (!!) لقد فقد الأمل والثقة بل والرغبة فى التغيير من يومها، لا دخل لى هنا بحكاية أن الشعب كان بيحب عبد الناصر وأن هناك إجماعا عليه. فسأعتبر هذا تخريفا لا سند له سوى حشد الجماهير أمام خطبه، إنما الحقيقة التى هى أرقام الاستفتاء الحقيقية غير المزورة .. فلا توجد (!!!)

لقد صعد عبد الناصر إلى الحكم بانقلاب عسكرى تحول إلى ثورة، لكنه تولى الرئاسة فى انتخابات مزورة رسميا ولا تعبر عن الشعب ومطعون فى كل نتائجها .. لا شأن لى بأن زعامته حقيقية .. رياسته يا سادة غير ذلك .. وها هو مرض الـ ٩٩,٩٪ مرض الإجماع السرطانى الموبوء الذى استولى على عظم الحياة السياسية فى مصر (والوطن العربى بالمرة) لا يزال يسيطر ويحكم ولا يزال من يومها التزوير هو القاعدة وهو الأصل والذى لا يعجبه يضرب دماغه فى الحائط (..) نحن نملك من الموضوعية أن نقول إن التزوير هو استمرار لسياسة ثورة يوليو فى تزوير إرادة الناس التى لم يحدث أن ظهرت منذ تولى عبد الناصر ورجال الثورة الحكم (..) ربما ظهرت فى الأغانى. فى المؤتمرات، فى حشود الناس، لكن لم تظهر فى أى صندوق انتخابى منذ ظهرت واستمرت ثورة يوليه، هذا العار الذى تحمله ثورة يوليه على كتفها لا يراه الناصريون ولا يراه الحزب الوطنى وكل منهما " معمى " عنه لأسبابه الخاصة، لكن المشكلة أننا سنستمر هكذا وطنا يزحف نحو التقدم خطوة ويرجع متراجعا عشرات الخطوات لأن إرادة الناس غائبة ومغيبة وضائعة فى زحام الـ ٩٩,٩٪ (هنا أحب أن أثنى على ٠,١ ٪ الذى ناضل ليبقى رافعا رأسه كل هذه السنين !!)

إن إرادة الناس غائبة رغم أن الثورة حتى الآن لا هم لها إلا الناس، فهى تتولى عنهم التفكير واتخاذ القرار ثم إملاءه على الملايين عبر أدوات ووسائل التلقين والتعبئة والحشد وطبعا سيقول لنا الأخوة الآخرون أن أى نظام فى الكون من حقه أن يجرى تعبئة وحشدا للجماهير من أجل دفعهم لتبنى موقف ورأى معين .. إن هذا يحدث فى أمريكا نفسها (!!) طبعا سأقول لإخوتى دعوا أمريكا على جنب ولنسأل أنفسنا .. وهل قال أحد لأى نظام فى الدنيا لا تستخدم هذه التعبئة وذلك الحشد . أبدا . لكن المشكلة أن ثورة يوليو احتكرت حق التعبئة والحشد .. هذه هى المشكلة أن ثورة يوليه احتكرت حق التعبئة والحشد .. هذه هى المشكلة يا أصدقائى، إن الديمقراطية وحرية التعبير والرأى هى أن تدع الكل بشكل علنى واضح معروف حر يسعى إلى تعبئة الناس وحشدهم وإقناعهم لصالح رأى أو فكرة ثم تختار الجماهير أو تحتار، هى وعقلها (!!) إذا وضعنا تزوير إرادة الجماهير بجانب احتكار السلطة للمعلومات والآراء والأفكار المقدمة لهذه الجماهير .. فبصراحة أصبح طبيعيا أن الجماهير تتطرف !!

وكان ذلك فى سياقه تماما، ففى الوقت نفسه كانت ثورة يوليو تتاجر " على ودنه" بالدين، وجعلت الإسلام اشتراكيا، وشويه رأسماليا ثم جعلت منابر المساجد غرفة عمليات للحرب " ح نحارب من فوق منبر الأزهر " وكثرت الفتاوى وكثرت برامج رأى الدين، (طبعا الدين هو هوى الحكام .. قالوا إسرائيل عدو قلنا عدو.. قالوا صديقة قلنا صديقة !!) وانتشرت فكرة تمثيل الشيوخ فى كل شىء من مظاهر الحياة السياسية، ولا أعرف هل وجود الشيخ والقسيس فى المقعد الأول أمام خطيب سياسى من أبناء الثورة شىء مقصور نشوءه على قيام الثورة أم أنه كان قبلها أيضا .. وعلى العموم مشكلتى هنا أنه لم يكن ليصح أن يبقى مع الثورة .. ومع ما تلاها، فالدين ليس سلعة أو جسر انتهازية

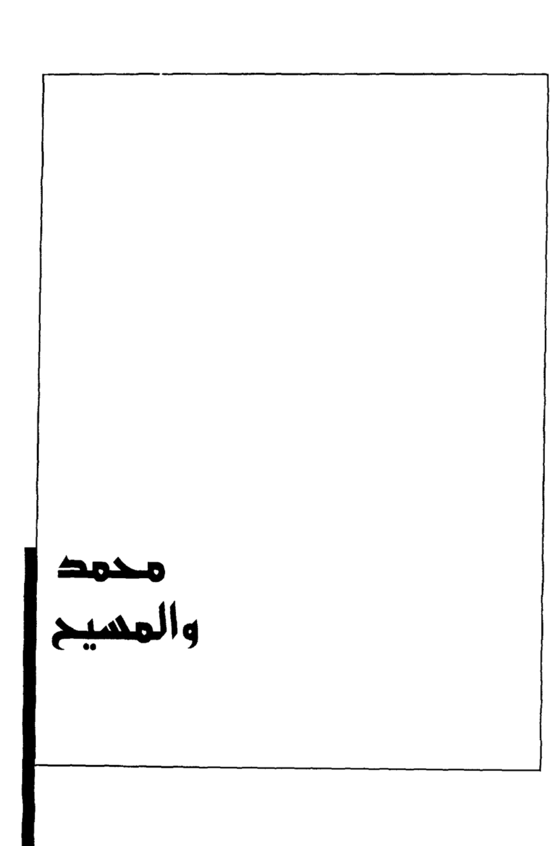
سياسية والحاصل أن الثورة فعلتها .. وتاجرت فى الدين وبالدين وإذا كان الوضع كذلك، فإن القبض على عقل مصر كان مزويا ومكملا لهذه السوءات القاتلة، فلا يوجد منصف فى الدنيا يرى أن حبس وسجن كاتب أو أديب أيا كان فكره وعقيدته أمر لا يستوجب الإنكار والاستنكار والرفض والإدانة.

والحقيقة أن ثورة يوليه عادت المثقفين وليسمح لى كل الذين يمكن أن ينبروا دفاعا عن الثورة، وحكاية آلاف الكتب التى أصدرتها (طيب وإيه يعنى ما هى مكتبة الأسرة تصدر كتبا ما الفارق .. ثم إن الكتب الاشتراكية التعبوية والدعائية إلى فكر واحد ورأى واحد كانت أغلب ما يصدر، إنها آلاف الكتب صحيح لكنها كتب دعائية فى الأغلب الأعم اكتسحت الكتب الأخرى القيمة) ومسرح الستينيات وسينما الستينيات وكل هذا الكلام الجميل غير الفارغ (!!) إن العداء للمثقفين وللثقافة عبارة عن شقين إما أن تمنعهم من الكتابة أو تدخلهم السجن (..) وهنا لا أريد أن أحكى وأفضفض فالكل يعرف ويتخابث ويبرر (..) ومع ذلك فإننى فقط أظن أن ثورة يوليو نجحت حتى الآن فى دس العداء ضد المثقف والجماهير وبين المثقف والسلطة مردها هذا الحجم القاتل من عداء يوليه العسكر الكاكى للمثقفين والمفكرين (..) أتذكر شاعرا فى بلدنا كان دائم الترديد لهذا البيت الشعرى، لا أعرف هل من تأليفه أم لا:

من يوم ما حكمنا الكاكى

كل الشعب يكاكى

لماذا أتذكر هذا البيت بصوت صاحبه الرخيم والرخم كلما تذكرت هذه الثورة التى لا تريد أن تموت؟!!!



محمد
والمسيح

هناك كتب قديمة معظمها قادم من الفرس المسلمين تحمل رسوما متخيلة للنبى إبراهيم الخليل عليه السلام وللنبى محمد (صلى الله عليه وسلم)... الذى صادف معه الحظ وحتمت عليه الدراسة ورأى مثل هذه الرسوم يدرك ببساطة أنها شديدة الشبه فى ملامحها وسمتها برسم عيسى ابن مريم المسيح عليه السلام وإذا كنا على يقين قاطع بأن هذه الرسوم خيال محض وبعيدة عن الحقيقة الجازمة تماما إلا أنها أحد أدلة كثيرة تؤكد أن الخيال الإنسانى المؤمن بالله والمصدق للأنبياء يراهم فى إطار واحد وملامح تكاد تكون متشابهة، ولم لا؟ فهم الأنبياء المرسلون والمبرءون والمنذرون والمختارون . وفى جلال كريم مثل المولد النبوى الشريف التى مرت عطرا، يبدو أنه يصير مهما الكلام عن النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) وعلاقته بالمسيح، لا لشىء إلا لأننا أحوج ما نكون فى فترة تفترس فيها الأفكار السوداء عقول الناس تلوح رايات التكفير وانشقاق الوجدان المصرى على نفسه ... لحوج أن ندرك فعلا أن دين الله واحد على ألسنة الرسل ...

وأن الإيمان والتوحيد هما المقصد والمبتغى ..

وأن رسالتى محمد والمسيح كانتا إنسانية للإنسانية ... وأنهما نبيا الرحمة..

لقد خاطب الله سبحانه تعالى نبيه الكريم محمد بن عبد الله فقال تعالى: ﴿ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك﴾ (فصلت ٤٣) وفى تفسير القرطبى للآية الكريمة ﴿وما أرسلنا قبلك من رسول إلا لنوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ (الأنبياء _ ٢٥)

أى قلنا للجميع لا إله إلا الله، فأدلة العقل شاهدة أنه لا شريك له والنقل عن جميع الأنبياء موجود، لم يرسل نبى إلا بالتوحيد والشرائع مختلفة فى التوراة والإنجيل والقرآن. وكل ذلك على الإخلاص والتوحيد..

لقد فهمتم ما نريد أن نقول...

نقول : أنها شراكة وشركة فى الإنسانية وأن الله إله واحد وتلاقت الرسل على رسالة واحدة هى الإيمان .. نقول تانى ..

فى الآيات الكريمة التالية دليل آخر على أن العبادة لله هى الهدف ولها أجرها ... انطلقت من أى دين .. أو من أى رسول ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم والآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم﴾ (البقرة ـ٦٢).

ومرة ثانية يؤكد الله سبحانه وتعالى على هذا المعنى الجلى الواضح فى سورة المائدة آية ٦٩ ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.. يقول الطبرى فى تفسيره معنى " فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون".. أى لا خوف عليهم فيما قدموا عليه من أهوال القيامة ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم من الدنيا وعيشها عند معاينتهم ما أعد الله لهم من الثواب والنعيم المقيم عنده .

ما علاقة هذا بمحمد والمسيح ..؟

سؤال يقلقنى إذا قيل .. فمعنى ذلك أننا مازلنا فى حاجة إلى أن نقول.. !

تبدو لى أن المسلمين والمسيحيين منذ فترة لعلها طالت فى حالة تناظر وتصارع .. من هم الأفضل؟ ما هو الدين الأحسن ؟! من الذى سيدخل الجنة ومن الذى سيدخل النار؟!

وكأن أحدا من المصريين مثلا سيرتاح ويهدأ باله لو عرف أن إنسانا ومواطنا مثله فى السويد سيدخل النار (..) دون أن يعرف هو نفسه المصرى المسلم هل سيدخل الجنة أم لا (..) وكل واحد يصر على أن يدعى أنه " الدين الأجدع والأحسن والمقبول عند الله .. دون غيره " .

إن فى هذا ضربا لرسالة النبيين اللذين بعثا للإنسان .. وللرحمة ..

يقول خالد محمد خالد فى كتابه " محمد والمسيح "إن الإنسان هو موضوع الرسالة رسالة محمد ورسالة المسيح ونحسبها من البداهة بحيث لا يحتاج إلى تقرير وإلا ففيم كان مجىء الرائدين الشاهقين والرسولين الكبيرين؟ ولأنهما بعثا من أجل الإنسان كانا إنسانين، كانا رجلين من البشر، اثنين من عباد الله ومن أولاد آدم يأكلان الطعام ويمشيان فى الأسواق ولم يجيئا ملكين .. من عالم غير عالمنا " .

وحين أقلب فى كتاب خالد محمد خالد أظنه أقل كتبه حظا ورواجا وذيوعا فهناك من لا يريد الحديث عنه كثيرا إمعانا فى السير نحو منحنى خطر روح العداء والتخاصم والتناظر، وأحسب أن فى هذا الإيغال فى تقسيم الناس إلى مسلمين وأقباط والتعامل بمنطق الفصل الدينى خيانة لمحمد وللمسيح معا، ولرسالتهما وهى الرحمة ...

الرحمة جوهر ما جاء به الأنبياء وفى مقدمتهم محمد والمسيح

بالضبط كما حاربا الظلم والجهالة وحاربا العقل ...

وهى حروب تستحق النضال من أجلها .. ولها

لكن الاستنزاف اليومى يقودنا إلى طريق آخر ملتو ووعر وعثر .. بعيد تماما " لكم دينكم ولى دين " ومع كل ما يمكن أن يقال إلا إننى أضع خطاً واضحا تحت كلمة "الرحمة "

فهى رسالة محمد والمسيح وأتباع محمد والمسيح حين ينزعون التراحم والتواصل ﴿وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا، وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا، والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حى﴾ (سورة مريم ٣١-٣٣).

قيل فى (تفسير القرطبى) كان عيسى عليه السلام يرضع فلما سمع كلامهم ترك الرضاعة وأقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره وأشار إليهم بسبابته اليمنى وقال " إنى عبد الله " فكان أول ما نطق به الاعتراف بعبودية الله سبحانه وتعالى وربوبيته ردا على من غالى من بعده فى شأنه والكتاب " آتانى الكتاب " أى حكم لى بإيتاء الكتاب والنبوة فى الأزل وإن لم يكن الكتاب منزلا فى الحال . "وجعلنى مباركا " أى ذا بركات ومنافع فى الدين والدعاء إليه ومعلما له .. وجعلنى آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأرشد الضال وأنصر المظلوم وأغيث الملهوف " فأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا " أى لأؤديهما إذا أدركنى التكليف وأمكننى أداؤهما، ويفسر ابن عباس ما قاله المسيح " وبرا بوالدتى " لم يقل والدى فقد (أى المسيح) علم القاسم الأعظم بين الأنبياء، وتكاد تكون هى نفسها صفات النبى محمد (صلى الله عليه وسلم)، هى معالمنا فى الطريق مسلمين ومسيحيين أن الله تعالى يصف المسيح فى القرآن الكريم بأنه " قول الحق " وفى تفسيرات أخرى للمعنى يقال " كلمة الله " ووصف محمد (صلى الله عليه وسلم) بأنه " على خلق عظيم " وهو " رؤوف رحيم " ..

إن الرحمة والرأفة هما آيتا الله فى رسوله لعباده ..

الرحمة التى تجعل الضمير هو الدافع وهو الأساس فى علاقة الإنسان بربه أما التفتيش فى الضمير والعبث بمكامن القلوب وكوامنها والتمزيق والتقطيع فى أوصال القلوب والعقول ومحاكم التفتيش كلها يبرأ منها الدين .

يقول النبى (صلى الله عليه وسلم) حين يستعديه صحابى على منافق فقال له طه النبى " هلا شققت عن قلبه "! وقد حاول من حاول فى الغرب أن يطعن فى الإسلام ويبحث له عن ثغرات لينفذ منها، وقد كتب من كتب من المسلمين محقرا من الآخر، ونافيا لوجوده أو لصحة ما عليه .. ومن هنا فالأمر جلل لأن الغايات جليلة عند كلا الطرفين فكل منهما يسعى للنصر والانتصار ويعتبر له دور هام يلعبه وواجب يؤديه، ومن ثم فالجميع متحمس ! بمن فيهم هؤلاء البسطاء الذين يجلسون الآن فى مصالحهم الحكومية يحملون ضغينة مستترة أو علنية، مخبأة أو مجهر بها ضد الآخرين (فى أى طرف مسلم أو قبطى) ! وكما قلت فالصراع كله كى يدخل الطرف الآخر النار (..) وكأن الجنة مزدحمة وهم فى حاجة إلى من يزيح آخرين عن التزاحم عليها .. وهذه العقلية التى نمت مع الوقت وترعرعت مع الزمن هى حصيلة جهد سنين للتفريق وللتمزيق كان _ وربما يظل _ هدفها هو إعاقة أصحاب الرسالات عن أداء الدور المنوط بهم، دور الإنسانية لإعلاء قيمة العدل .. والرحمة.

تريدون أن أقول لكم لصالح من ما يدار؟ اسمعوا ما وجدته عند خالد الذكر خالد محمد خالد حين ينقل عن المسيح قوله " لكن ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تغلقون ملكوت السماوات قدام الناس، فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون ".

إن محمد والمسيح كانا رسالة الله ضد الظلم والقهر .. ونعرف جميعا قصص كفاح الأنبياء ضد الظلم والقهر، لكننى أريد أن أنوه إلى أن واحدة من المعارك التى لا ينتبه لها أحد من فى مسيرة النبيين العظيمين .. هى معركة ضد السماسرة والكهان .

إن المسيح قد واجه كهنة أورشليم ووسطاء الناس إلى الرب، ومحمد (صلى الله عليه وسلم) واجه تجار مكة الذين سمسروا ما يكفى فى الدين والحج والحجيج، وكهان مكة

الذين صنعوا من التماثيل والأصنام جسرا وتزلفا لله وامتصاصا لأقوات الناس وجوهر إيمانهم وبحثهم عن الله .

وكانت حربا عاتية.

وكانت معركة مصير ..

وانتصرت النبوة ..

وأن انتفت بعد ذلك قوى السمسرة والكهانة وضربت فى جذر الانتصار..

ما يعنينا هنا هو أن الرسالة جد واضحة وأن محمدا والمسيح استودعا فى قلوبنا هذا الجوهر اللؤلؤى الغالى الذى يستنهض أرواح الناس لتحمل حربهم ضد السمسرة الكهانة وأظن أنها الآن ممثلة فى كثيرين نود أن نترك القارئ حرية استنتاجهم وإدراكهم (بالاسم والله) الذين يستفيدون من حفر الخندق بيننا ...

الذين ينوون ويعتزمون كل يوم بدق الضغينة فى القلوب.

يتحدث كل الفقهاء والمفسرين على مر التاريخ عن معجزة المسيح فى إبرام الأكمة وإحياء الموتى بإذن الله ..

ويتحدثون أنفسهم عن معجزة النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) فى القرآن الكريم . ومعجزات عيسى لا مراء فيها . ومعجزة القرآن أعظم من أن نؤكدها . لكننى أرى معجزات أخرى .. أقصد معجزة أخرى مهمة جوهرية وهى معجزة القدرة على تغيير العالم .

إن الأنبياء وضعوا لنا قدوتهم .. ورحلوا لأنهم بشر .. أدوا الرسالة .. والأمانة .. ونصحوا الأمة .. وكشفوا الغمة وتركونا على المحجة البيضاء .. ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ! لكننى أصفق بقلبى لكم .. أليست هذه معجزة لا يريد أحد أن ندركها .. إن البشر يملكون القدرة على تغيير العالم.

هل الأقباط
كفرة ؟

الحقيقة أنكم أو أن بعضكم تعتقدون أن الأقباط كفرة داخلكم القضية محسومة ونظرتكم واثقة وأنتم تلقون الحكم كونوا صرحاء مع أنفسكم واضحين للغاية وتعالوا نتناقش بروح مفتوحة لأن هذه النار التى تأكل قلبكم والإصرار الذى يتضح فى نفوسكم أن الأقباط كفرة هو الذى يؤدى بنا فى داهية لأنكم لستم متطرفين بل تكرهون المتطرفين والإرهابيين والتطرف بل لأنكم تعاملون الأقباط بكل ود أو بعضكم لكن فى قلبكم منهم غصا وجزما يأخذ بألبابكم أنهم كفرة وكلنا نضحك على بعض نتعامل على أن الموضوع طبيعى وعادى وكم قصيدة تافهة عن الوحدة الوطنية وكلمتين إنشاء رديئة عن نسيج الوطن الواحد وعنصرى الأمة ثم ينتهى الموضوع لكن مشكلة أم هذا الموضوع أنه لم ينته أبدا كل فترة تمر معها زوابعها فى الفتنة الطائفية منذ عام ١٩١١ وقبله وبعده والإحن والمحن واردة فى العلاقة بيننا مسلمين وأقباطا فى مصر ولست ممن يعتقدون أن الأمر كله يعود إلى أياد خفية وعناصر أجنبية ومؤامرات دولية حتى هذا الكلام المريح السهل الذى يقوله الأمن لنفسه حتى يرتاح ويريح لكن المشكلة أعمق من ذلك المشكلة الوجدان الذى تربى على فكرة العداء المشترك يستتر حينا ويظهر أحيانا ومع أول عود كبريت ينفجر البارود المعبأ فى النفوس وليس أدل على ذلك من حوادث تجرى فى قرى مصرية لا علاقة لها بالصعيد ولا بالتطرف لكنها آمنة طيبة تفجعك بين الحين والآخر بمصيبة تستأهل استدعاء الأمن المركزى لفض الاشتباك وحظر التجول ثم يخرج السيد المحافظ ليحدثنا قليلا عن أن الأمر سحابة عابرة وأن مشعلى الفتنة فى التخشيبة وليس أدل على أنها حوادث متكررة ومظهر يظهر لقضية أخطر وأعمق هو هذا التطاحن الذى يبدو على

السطح وتحته فى القرى والمدن المصرية الصغيرة حين تعلن فتاة مسيحية إسلامها وتتزوج من مسلم يتحول هذا الأمر الفردى الصغير الشخصى جدا إلى قضية قومية وحدث رهيب ووسيلة لإذكاء ما فى النفوس من اشتعال النار ووسيلة أخرى للتعبير عن أزمة فى المشاعر بين الطرفين وإذا حكيت لن أنفض قصا وذكرا لتفاصيل مبكية ومخزية فى هذا الشأن لكننى أرى الأمر كله علامة على الخطر الكامن الذى لا يهتم به أحد إلا إذا ظهر لكنه سرعان ما يخمد فيرتاح ويأمن الجميع لكن لا يتوقع أحد أنه قادم وصاعد مرة أخرى وهذا ما يجرى فعلا لكن هناك مشكلة أخرى لا تخلو من تعقيد أن بعض الدفاع عن الأقباط من السادة الشيوخ يمثل ما هو أسوأ من الهجوم عليهم لأن الدفاع ليس أكثر من مادة خام لإشعال الفتن وليس لعلاجها لا أقول اخمادها ومن ذلك حكاية أن النبى (ص) أوصى بأهل الذمة وإطلاق تعبير أهل الذمة أساسا على أقباط مصريين وهو فتنة فى حد ذاته وكارثة فى مجملها ومفصلها فالتعبير ارتبط بفجر الإسلام وضحاه وبمرحلة الغزو والفتح والضم والاتساع والانتشار وكانت كلها مبنية على حقبة تاريخية بكل ملابساتها وعندما ترحل هذه الملابسات تستوجب قراءة أخرى ومنطقا آخر فلا يمكن أن نتعامل الآن مع حقوق المواطنة ومع دولة مدنية وشعب مصرى متمازج الأعراق ومتصل العروق على طريقة القطع بين ما هو مسلم وما هو ذمى بل مصريون جميعا فى دولة تحترم حرية العقيدة لكن أن نتعامل كمسلمين مع الأقباط على أننا الذين غزوناهم أو فتحناهم فى قدوم عمرو بن العاص على مصر فنحن ورثته ورثة الفاتح ننظر لهم على أنهم بقايا السبايا وأبناء أهل البلاد فهم عندنا أهل الذمة الذين نستوصى بهم خيرا ويعاملوننا هم على أننا غزاة عسكريون فتحنا أرضا أو اغتصبناها منهم هم أبناء الأرض الشرعيين فهذا كله تخريف فى تخريف قد يتحجج البعض ويصرخ فينا أننا نسقط أمرا سنه االرسول لكننا نسأل وهل يمكن لمسلم الآن أن يطالب بالسبايا وما ملكت أيمانكم وأن

يملأ البيت بالرقيق والعبيد أو يذهب وزير مسلم لتحصيل الجباية من أمريكا مثلا. إن الحقوق بيننا حقوق مواطنة فى مجتمع مدنى وليست حقوقا تمليها قضايا الفتاوى العسكرية ولا الظروف التاريخية وقد يرى البعض جازما ومخلصا أن الأقباط كفرة بأكثر من حجة ومنطق ولكن يتجاهل نفس هذا البعض أن الإسلام أباح الزواج من مسيحية بمعنى أن الإسلام يكفل لى حق الزواج من مسيحية ويكفل لها حق الاحتفاظ بدينها بل وحرية ممارسة هذا الدين وشعائره يعنى أبنى لها مذبحا فى غرفة النوم مثلا لتصلى لربها فهل تعتقد أن الله حين شرع لعبده المسلم الزواج من مسيحية كان غافلا سبحانه عما يصفون عن كفر النصرانية وإذا كان البعض يتحدث بثقة مبالغ فيها عن أن هذا الحكم الزواج من كتابية كان مرتبطا بالكتاب الذى لم يحرف فقد حرف أهل الكتاب كلام الله عن مواضعه هذا البعض يتجاهل هنا أمرا بالغ الأهمية أن الإسلام بأحكامه ونصوصه وحرامه وحلاله جاء بعد عصر أهل الكتاب وأن هذه التهمة كانت واردة فى القرآن ذاته ومع ذلك شرع الله للمسلمين الزواج من كتابية وحرم الزواج من كافرة إذن فالاعتراف الأكيد القوى بعدم كفر أهل الكتاب يكاد يكون صارما ونهائيا فضلا عن أن النبى (صلى الله عليه وسلم) وإنجابه لنجله إبراهيم من مارية القبطية هو أيضا من جانب آخر اعتراف آخر بحسن دين النصرانية ولم يعرف ولن يعرف عن النبى (صلى الله عليه وسلم) أنه تزوج من كافرة أو أنه تزوج من كافرة أو اتخذ امرأة من الكافرات أو حتى من يشتم منها ومن دينها شيئا يمس الدين الإسلامى بضر أو ضرار وهكذا يعطى النبى ﷺ قدوته وأمثولته الحسنة فهل من مبارز أن العودة لنصوص الآيات الكريمة الخاصة بالمسيحية وعلاقتنا بأهل الكتاب تشهد عشرات التفسيرات والاجتهادات وهناك من يقدم تفسيرا وضحا وضوح الشمس فى أن النصارى كفرة ويقدم حججه ومنطقه فى ذلك حتى تكاد معها أن تنساق خلفه خصوصا أنهم أئمة كبار لهم وزنهم وثقلهم وهناك

نفس الآيات بتفسيرات أخرى حاسمة قاطعوة فى الرد والتنفيذ تدرك معها بقوة لا مفر من الاعتراف بها أن النصارى ليسوا كفرة وأن لهم منا حقوقا وعلينا تجاههم واجبات وخاصة أن أصحابها أئمة كبار لهم وزنهم وثقلهم ولأن القرآن حمال أوجه وستجد من هذه الوجوه ما يحرم وما يحلل ولأن الاختلاف رحمة فستجد عشرات الاختلافات بين الأئمة منها ما يحرم وما يحلل وستجد كل هذا صحيحا من وجهة أمر أخرى حسنا يبقى ساعتها الاختيار. الاختيار وفق رؤاك واتجاهك وميولك وهواك وقلبك وعقلك وعصرك ومجتمعك ويبقى أن الذين سبقونا رجال ونحن رجال لنا عقل كما كان لهم بل ربما نزيد عنهم كثيرا مع ظهور العلوم والتكنولوجيا ووسائل القياسات والحسابات وما أنتجته العقلية البشرية والحضارة الإنسانية كل هذه السنين إذن يبقى الاختيار لك وتبقى قناعتك هى الفاصلة والحاسمة هنا ستجد من يقوم بإعراب الآيات إعرابا بطريقة لا يريد منها سوى الخروج بأن النصارى كفرة ويشرحها بنفس الطريقة ويستدعى كل ما أملته عليه قريحته واجتهاداته لإقناعك لكن مجرد أن تعرب هذه الآيات إعرابا مختلفا فالحديث كله يهدم وينهدم فهل تستطيع أن تترك نفسك ومصيرك ومصير بلدك رهنا لإعراب كلمة كما قلت ستجد عشرات الأمثلة فى عشرات الكتب ترى ما لا ارى وغيرها تؤيده وتدعمه وتظل أنت وحدك مسئولا عما تفكر فيه وتؤمن به أمام الله عندما تعرض عليه يوم لا ينفع مال ولا بنون ولا حجج فارغة ستظل الفتن قائمة ومجهزة ومعلبة طالما بقيت الأفكار هى نفسها المحرضة على الكفر والتكفير.. إن غالبية الناس يعانون من ضغوط اقتصادية واجتماعية يبحثون عن ضحية يلقون فيها كل ما فى أنفسهم من غضب وقرف وسيظل الناس من يشعرهم بأنهم مهمون وأقوياء وعظماء وأن الجنة فى انتظارهم والجنة لهم وحدهم طالما الدنيا لم تعد لهم ولا بهم وطالما هم فى أسوء حال وأمر فقر من هنا فهم يريدون الجنة لهم وحدهم فلا أكثر من ألا يشاركهم فيها أحد.

هل يشاركنا
سكان الفضاء
دخول الجنة

هناك من يعتقد أن الغرب أفرط فى الحديث عن الفضاء صحيح كل يوم تتوالى وتتابع الكتب والموضوعات الصحفية والمؤتمرات والمسلسلات والأفلام السينمائية عن الفضاء وكائنات الفضاء والحياة على الفضاء الكلام كثر والبعض يعتقد أنهم مجرد رغى ورغو لكن فى الحقيقة أنهم يفكرون فى الفضاء لأنهم اكتشفوه ووصلوا إليه وفتشوا عنه وفيه واختبروه وزاروه ويزورونه ومن ثم فإن الذين لم يدركوا ولم يدركهم الفضاء يرفضون كثرة الكلام وغزارته أو يستجيبون بطريقتهم بهذا الاهتمام بالفضاء.لقد سارت احتمالات الحياة فى الفضاء والكائنات الفضائية الحية أحد معالم الاختلاف الضخم بين العقلية الغربية والعقلية العربية فى التفكير والرؤية والنظر إلى الأشياء عن نفسى لا أستطيع أن أرفض أو أن اوافق على أن هناك كائنات حية فى الفضاء فالأمر كله محتمل قد يكون الفضاء بلا سكان وبلا حياة وقد يكون العكس لايوجد شئ مستبعد الذين يحترمون قدرة الخالق والمصور وحكمة الله وعلمه الذى وسع كل شىء الذين يقدرون مكانة العلوم والعقل الإنسانى يضعون احتمالا كل يوم لإفراز كل جديد واختراع اكتشاف كل مختلف فما المانع من أن تكون هناك حياة على الفضاء؟ تعالوا إذن إلى الغرب وأمريكا بذات التى تنشغل الآن بأفلام سينمائية وروايات كثيرة جماعات كاملة جمعيات متعددة ترى أن هناك وراء الفضاء كائنات عبقرية تمثل خطرا يهدد العالم (وأمريكا طبعا) يستعد سكان الفضاء بأن يطيحوا بالارض ويغزو الكرة الأرضية وسكانها ويستعدوا لمواجهة لن تبقى ولن تزر جل اهتمام وكل انشغال الغرب بأن هناك من هم فى الفضاء قطعا أكثر ذكاء منهم وأكثر

عبقرية وأكثر خطرا وهاهم يستعدون للمواجهة معهم ويحذرون منهم ويحاولون تخيل كيف يفكرون وإلى أى حد من العلم والتفوق التكنولوجى وصلوا أن العالم الغربى يضع تحديا جديدا له أو يجدد تحديا قديما وفى سباق ضد العدو (أيا كان) ظهرت كائنات الفضاء والسعى الجاد ويتجاوز سذاجة الأفلام أو خيال المسلسلات بل هناك أكاديميات وعلماء وأساتذة وخبراء وبلايين الدولارات المنفقة من أجل ذلك.

لكن ماذا عن نحن؟ *كيف نفكر فى الفضاء؟* خذ عندك *هذا الاختلاف الجوهرى الأول* فى التفكير العربى والغربى والغربيون يسألون إلى أى حد تفوقت علميا الكائنات عن الكواكب الأخرى وسكان *الفضاء؟* العرب يسألون هل سكان *الفضاء* مسلمون أم مسيحيون؟ الغربيون يسألون كيف نتغلب على سكان الفضاء كيف نستعد للمواجهة القادمة؟ العرب يسألون هل وصل الأنبياء إلى الفضاء؟ هل بلغت الدعوة المحمدية إلى أهل المريخ؟ إن هذا هو أحد أدلة *اختلاف الفكر واختلال التفكير* بينما يفكر أهل الغرب فى تكنولوجيا وتفوق أهل الفضاء نفكر نحن فى عقائدهم وكأننا مبشرون كأن ما يشغلنا هو نوع *العقيدة وليس نوع السلوك* نحن *نفتش فى الضمائر* عن *عقيدة* وهم يفتشون فى المعامل عن سلاح جديد خذ عندك اختلافا أصيلا آخر الغرب يتحدث عن سكان الفضاء حتى الهوس هذه الأيام لكن رغم خرافات واساطير وجزعبلات طفيفة وعادية إلا أنهم يكرسون الاهتمام فى علم حقيقى له كل مؤهلات العلوم مستقبلها وتطورها ويظل الفضاء مجالا حيويا سواء أن يحتلوه أو يستخدموه فى أى حروب خاصة بالغرب حروب مسلحة أو حروب إعلامية أى حرب والسلام أو يتكشفوا ما وراءه وما فيه اهتموا بالفضاء وما فيه من سكان وعباقرة فأغرقوا هذا الفضاء بالسفن والصواريخ والمحطات أما نحن فأخذنا منهم اهتمامهم الرمانتيكى وخيالهم الفنى وحولناه إلى خرافات وأوهام

وخزعبلات وخيالات وكلام فارغ كثير وبعضه مسل أخذنا منهم بعض هذه الكتب وبعض هذه القصص وبعض هذه الموضوعات أضفنا عليها أشياء من الأسئلة العقيدية والدينية وحاولنا أن نثبت أننا الأجدع والأحسن وأن القرآن الكريم قد ذكر كل شىء كذلك عن الفضاء وسكان الفضاء ثم فى صراعنا الغريب لمزاحمة بقية خلق الله على دخول الجنة وكأنها تكدثت بالبشر وامتلات حتى بات دخول أحدنا الجنة لابد أن يكون على حساب اخر مسيحى أو يهودى أو حتى مسلم أو كائن فضائى فى هذ الصراع المحموم بدأنا نسأل هل هم مسلمون أو مسيحيون سيدخلون الجنة أو جهنم ووصلتهم رسل وأنبياء أم لم يعرهم الخالق شأنا ولم يبعث لهم شيئا ألم أقل لكم أن الفضاء فضحنا فضح عورات تفكيرنا ليبقى أن الجميع يتخيل أن سكان الفضاء هذا لو وجدوا عباقرة من حيث العقل دمى وهياكل اخطبوطية من حيث الشكل واسمحوا لى أن أمشى فى طريق آخر بهزل لا يخلو من الجد وأسأل نفسى وأسألكم لماذا الإصرار على كونهم عباقرة على أحدث درجة من العلم والتكنولوجيا والتقدم فى كافة المجالات افرض فعلا طلعوا أغبياء أو طلعوا عاديين مثلنا أو طلعوا مثل أبناء العالم الثالث فى حاجة إلى عون ومعونات وبطاطين من أجل الشتاء وخيم فى الزلازل يعنى باختصار ممكن جدا يطلعوا مقلب ونشريه جميعا ألن يكون نقبنا كلنا على شونه الغرب لن يتمتع بظهور عدو ومنافس جيد فى العلوم والحروب والعرب لن يجدوا مسلمين متقدمين يشدون من سواعدهم ويحمونهم من الغرب الصليبى الكافر ثم لماذا يحرص الغرب على تعظيم عقل سكان الفضاء بينما يحقر من شكلهم ويقدم صورتهم على أنهم قوم يتميزون بالدمامة وتبعث صورتهم كثيرا على الغثيان وكأنه ينتقم من جمال عقولهم بتقبيح شكلهم على نفس الطريق الآخر أسأل نفسى وأسألكم ماذا لو طلعوا شديدى الوسامة والجمال والحلاوة وأجمل منا شكلا وقواما وعلى أبرع ما

يكون الخلق والصورة زمان منذ أكثر من خمسة وعشرين عاما كانت هناك حلقات فى التليفزيون المصرى بعنوان وليد وراندا فى الفضاء كنا معجبين بها ونحن أطفال كبرنا لكن لا وليد ولا راندا طلعا من علماء الفضاء أما وليد فقد أصبح ممدوح عبد العليم أما راندا فأصبحت ليلى علوى.

■■■

محمد ﷺ

هل يجرؤ أحد على تمثيل دور النبى محمد ﷺ؟ مستحيل..

هل يمكن ان يتحدانا ويتآمر ضدنا وينتج فيلما عن النبى ﷺ؟

جائز جدا لكن الغرب ليس نزقا ومجنونا إلى هذا الحد ففيلم عن النبى صلى الله عليه وسلم يثير أزمة سياسية قبل حضارية وشعبية قبل فنية ودبلوماسية قبل الجميع كما أن . عام هى عمر السينما العالمية لم تجرؤ على ذلك أبدا.

طيب هل يستطيع أن يفكر فنان فى ذلك؟

حصلت بل وفى مصر..

لماذا؟

لأن الفترة السياسية التى شهدت هذا التفكير وتلك المحاولة كانت تسمح بطرح هذا بحرية فى النقاش والجدل كذلك كانت تسمح بحرية فى التراجع والابتعاد بدون أى اتهام بالكفر والردة والإلحاد لا السياسيون أيامهم كانوا أقل وطنية ولا الشيوخ كانوا أقل شجاعة ولا الفنانون كانوا أقل تدينا.

ولكن هل عرف الإسلام فى بدايته الفنون التى تصور وتمثل حتى يمنع تجسيد وتمثيل دور النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة؟

لا لم يعرف قطعا السينما والمسرح ولكن عرف القصص الشفاهى أول فن ازدهر فى صدر الإسلام وعرف أيضا الرسم وما يجوز على الرسم يجوز على غيره من فنون التجسيد والتشخيص.

وهل هناك نصوص واضحة تحرم ظهور النبى أو رسمه وتشخيصه وتجسيده ؟

كل النصوص قابلة لتفسيرات مختلفة لكن القطع هنا بعدم التمثيل هو قطع فقهى عليه إجماع منذ زمن طويل.

لكن الاجماع ليس شرطاً للصحة؟

ولكنه أيضا ليس دليلا على عدم الصحة.

إذن هل يمكن أن نعتبر أن التاريخ الإسلامى خال من رسم للنبى (ﷺ)؟

بالإجماع هناك رفض تصوير النبى (صلى الله عليه وسلم) وحتى بغض النظر عن الأسباب الدينية فهناك معنى آخر يكمن وراء هذا المنع أو التحريم هو الإبقاء على صورة النبى (صلى الله عليه وسلم) مقدسة ومنزهة فى الأذهان المسلمة.

السؤال مرة أخرى: هل خلا التاريخ الإسلامى من رسم النبى (ﷺ)؟

لا.. ظهرت رسوم لنبى فارسية وتركية حيث ازدهر الرسم وحيث التأثر بالفنون الحضارية المغيرة وحيث علاقة حميمة بين تصوير المسيحى فى الرسوم والأيقونات المسيحية وبين المسلمين ذوى الأصول المسيحية والفارسية الذين دخلوا الإسلام فى عهود تالية وفتوحات لاحقة.

وأين هذه الرسوم؟

موجودة ونادرة ومحرمة ولا نرى سببا وجيها لعرضها أو حتى بالفضول فى رؤيتها.

اذن ليس هناك وصف دقيق لملامح النبى (ﷺ).

لا طبعا فيه وصف تفصيلى ودقيق فى السيرة النبوية وهو وصف رائع ومذهل ويمكن لأى خيال فنان مبدع أن يتخيله على أشد ما يكون الجمال والوسامة.

لكن لم تقل لنا أين جرت محاولة تصوير فيلم عن النبى (محمد صلى الله عليه وسلم) ومتى ومن كان وراءها ؟

فى جريدة الاهرام وفى ٢٤ مايو سنه ١٩٢٦ كتب الفنان الكبير يوسف وهبى يحكى قصته مع فيلم (النبى) بعث إلىَّ منذ شهر وداد بك عرفى الكاتب التركى المعروف يطلب منى مقابلته فبادرت إليه حدثنى عن شركة سينما تغرافية تريد أن تأخذ بعض المناظر فى مصر وتقوم بإخراج روايات شرقية ومصرية وعربية وبعد ذلك وصل إلى القاهرة جناب الدكتور ماركوس رئيس هذه الشركة وطلب مقابلتى قال لى الدكتور ماركوس إن الشركة وقع اختيارها علىَّ أنا لتمثيل أدوار البطولة وعرض علىَّ شروطه وبعد مناقشة قبلتها بادرنى قائلا سنبدأ بعمل تاريخ سيدنا محمد، فوجمت قليلا وسألته عما يعنى فأجابنى نريد أن نظهر للعالم أجمع نريد أن يؤمن الجميع بعظمة محمد ومجد الدين الإسلامى ولكننى لم أندفع وأجبته قائلا: لا أستطيع. أجاب: لماذا؟ فقلت إن ديننا يحرم علينا أن نصور هذا الرجل العظيم مهما كان قصدنا حسنا، فقال لكنك إذا رفضت أنت القيام بهذا الدور فسيلعبه أجنبى غيرك لا يعلم عن الدين الإسلامى حرفا..

وثارت ضد يوسف وهبى عاصفة نرى آثارها فى رده وليس معنى قولى هذا أننى أدافع عن فكرة تمثيل النبى محمد صلوات الله وسلامه عليه فقد برهنت العكس واحترمت قرار مشيخة الأزهر وامتنعت عن التمثيل.

ما معنى هذه الحكاية؟

معناها اننا لا نخاف شيئا وأن كل القضايا وأوامر وتفاصيل ومتعلقات الإسلام قابلة للنقاش والجدل بالتى هى أحسن وأن الأسئلة التى تبدو صعبة تشتد سهولتها وضوحا حين نجيب عنها.

هل نفهم من نشر هذا الكلام الآن أن الفقه الإسلامى ضد ظهور النبى فى فيلم سينمائى؟

آه أفهم ذلك..

طيب شكرا.

العفو.. لكن قبل أن تمضى أذكرك أن الفقه الإسلامى ضد ظهور شخص النبى (صلى الله عليه وسلم) لكن ضد استيحاء شخصه وأفكاره وحياته فى أعمال فنية وإبداعية منها مثلا القصص والدراما التليفزيونية والسينمائية.

لأ.. عندك لا نفهم؟

أقصد أن صورة النبى وشخصه منزهة عن التجسيد لكن الدروس المستفادة والعبر المستخلصة من سيرته قابلة للكتابة والتمثيل أظن.

■ ■ ■

الفهرس

ف : 602 تاريخ استلام: 11/7/2006

رقم الإيداع: ٢٠٠٣/٢٧٨١

الترقيم الدولى: 977-208-418-X



7 & 10 شارع السلام أرض اللواء المهندسين

تليفون : 3256098 - 3251043



إبراهيم عيسى

والحقيقة أن القيـود أكثـر من الهم على القلب وكلنا نكذب ونحن نغفل ذكرها أو نمنع التذكير بها لكن يأتى حكم بسجن صحفى فندرك فورا أن أكبر قيد على حرية الصحافة هو السجن وليس القانون مع الاعتبار أنه ليس قانونا إلهيا أو نبويا ولم يأت سرده فى البخارى !! وأن الذى يروج له ويدافع عنه هم طبول النفاق وأبواق الحكومات الذين يجلسـون فى أبعد مكان عن المسـاس بشعـرة من رءوسهم حين يكتبـون وحين يسفكون سمعة وكرامة معارضهم ، ..... هنا مناقشات حرة بينى وبين صديقى الكاتب الإسـلامى محمـد عبد القـدوس فى قضايا السيـاسـة والتـاريخ والإخوان ..... وحتى الحب

الغلاف: عمرو عطوة